سنابل العمر

(شعر)

د. محمد حماسة عبد اللطيف



الـكـتـاب : سنابل العمر (شعر)
المؤلـف : د. محمد حماسة عبد اللطيف
رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٧٨٨٥
تاريخ النشر : ٢٠٠٥
الترقيم الدولي : I. S. B. N. 977 - 215 - 796 - 9

الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة
الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلي (القاهرة)
ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤
التوزيع : دار غريب ٣،١ شارع كامل صدقي الفجالة – القاهرة
ت ٥٩٠٢١٠٧ – ٥٩١٧٩٥٩
إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر – الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ – ٢٧٣٨١٤٣

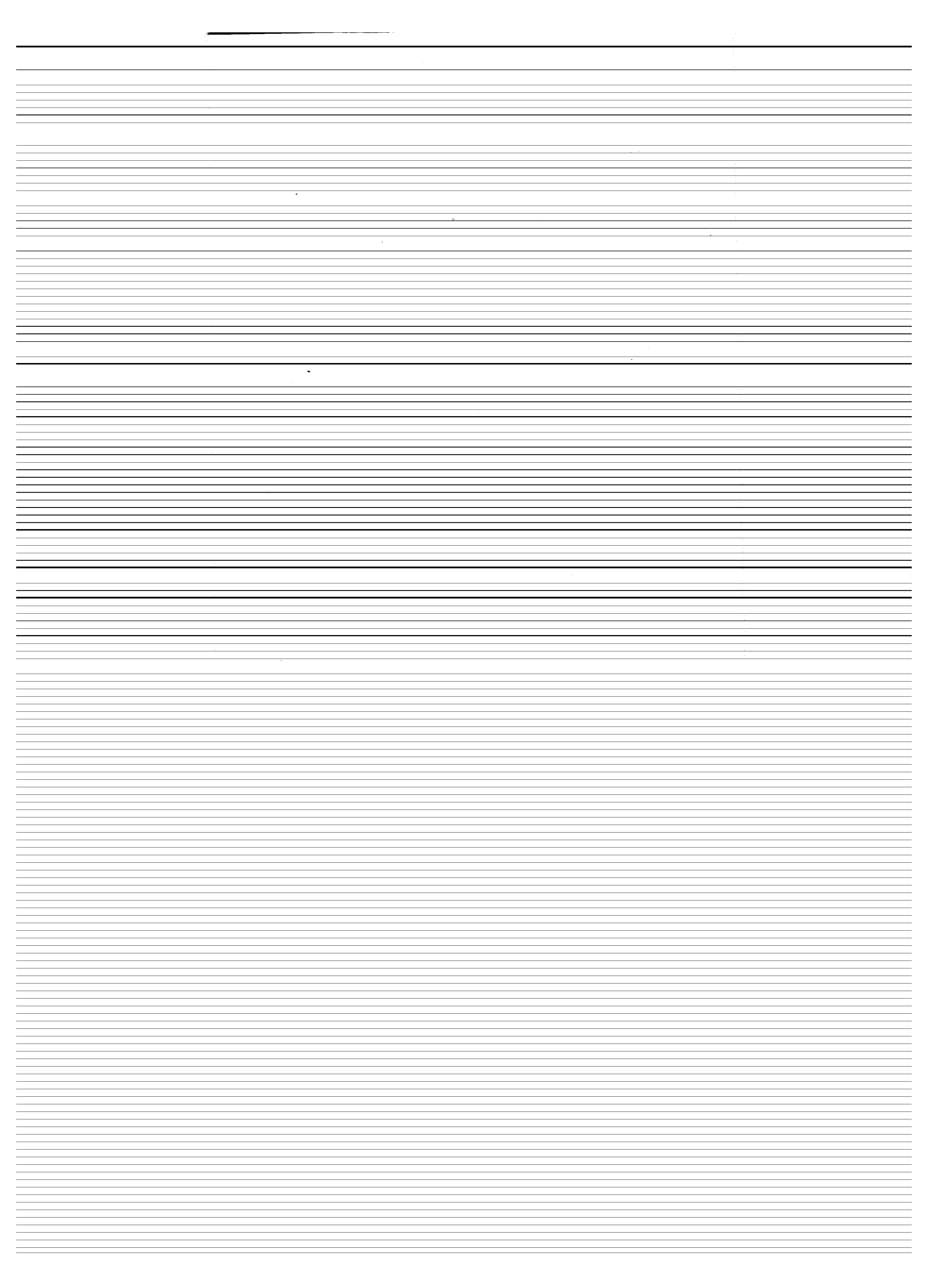
إهـــداء

إلى ذكرى أمّى ..

نبعِ الحنانِ الذى غاض فى حياتى

منذ زمن بعيد .

محمد حماسة



رحلتى مع الشعر

هذا شعرى أقدمه إليك . ولعلى بهذا التقديم لا أحول بينك وبينه ، فلا أريد بهذا التقديم أن أُنَفِّقَه عندك ، أو أزخرفه لك ، أو أزيّنه لديك . ولا أريد بهذا التقديم أيضًا أن أقدم لك سيرة حياتى ، ولكنى أريد أن أستل من خيوطها المتشابكة المعقدة الخيط الذى انعقد بالشعر طرفاه ، وما كان منها متصلاً بغيره فمن أجل توضيح شىء فيه لم أستطع التخلص منه . ولست بهذا التقديم أيضًا أتابع ما يفعله شعراء آخرون ، فإن لدى بعضهم ما يعجب ، ولدى بعضهم ما لا ضرورة له ولا حاجة إليه . ولست أنزع بهذا التقديم أخيرًا إلى درس نقدى يتعلق بالشعر من حيث هو جنس أدبى ، أو بالشعر الذى كتبته ، لكنى فى الحقيقة أريد أن أعتذر إليك بتقديم هذا الشعر مجموعًا بين دفتى كتاب . وقد ضاع مما كتبت كثير . وقد اصطفيت ما أقدمه إليك مما بقى فى أوراقى وفقًا لمعايير عندى . وإذا كان هذا الشعر عزيزًا على نفسى فلا يعنى أن يكون عزيزًا على الآخرين . لكنى مع هذا أؤمل أن يكون فيه شىء يروق لك ، أو يعجبك ، أو ترى فيه شيئًا يمس وترًا

من أوتار نفسك . فخيوط نفوسنا نحن – البشر – قد تتلاقى أو تتباعد ، وقد تتقاطع أو تتوازى ، وقد تتقارض أو تتعارض ، وقد تتدابر أو تتوافق ، وقد تتساند أو تتعاند ، وقد تتنافر أو تتآلف ، وقد تتعارف أو تتناكر . وحالات النفس متقلبة ، فقد تتجاوب إذا كانت في حال من أحوال التلاقى والتآلف ، وقد تتجافى إذا كانت فى حال من أحوال التنافر والتناكر . وكل حال من هذه تعبر عن رأى ، وتكشف عن موقف . والذى آمله أن تصادف قراءتك شيئًا من هذا الشعر حالاً من أحوال الرضا والتعاطف ، وأن يغلب لديك التسامح ، فلستُ فى النهاية إلا محبًّا للشعر ، وقد أردت أن أطلعك على هذا الحب وأشركك معى فيما أحببت ، ولهذا الحب تطلعت نفسى أن أضرب فيه بسهم ، وأشترك فيه بنصيب .

* * *

كنت فى الحادية عشرة من عمرى عندما قامت ثورة يوليو ، وبعد شهور من نجاحها كان قائدها فى ذلك الوقت محمد نجيب يزور بعض الأقاليم ، وقال أبى أمامى ليسمعنى إنه قرأ فى إحدى الجرائد أن صبيًا فى الحادية عشرة ألقى أمام محمد نجيب قصيدة حياه بها ، وأبدى والدى – رحمه الله – إعجابًا شديدًا بهذا الصبى

الذى فى مثل سنى ، وكانت هذه طريقته عندما يريد أن يوجهنى إلى شىء أو يحفزنى عليه . وقد قيل أيامها إنّ محمد نجيب سوف يزور إحدى القرى التابعة لشبين الكوم بالمنوفية ، وسوف يذهب إليها عن طريق الباجور وهو الطريق الذى يمرّ على قريتنا ، وقيل إنه سوف يتوقف قليلاً عند قريتنا . فقفز إلى ذهنى ذلك الصبى الذى استأثر بإعجاب والدى ، وفكرت أن أصنع صنيعه ، وأنال شيئًا من إعجاب أبى وأُقر عينَه بى . وأذكر أننى عكفت يومًا أو يومين على كتابة «قصيدة» أحيى بها قائد الثورة عندما يتوقف عند قريتنا ، ولم يكن فى ذهنى من مثال للشعر الذى أريد أن أكتبه إلا الأناشيد التى كنا نحفظها فى المدرسة الإلزامية ، ولم يكن فى مخزونى اللغوى إلا القرآن الكريم الذى كنت أتممت حفظه قبل ذلك بعام ، ولذلك جاء ما كتبته آنذاك بعض نصائح لقائد الثورة ، وبعض سبابٍ للعهد الملكى فى كلام أظهر ما فيه السجع وبعض العبارات المنقولة بنصها من القرآن الكريم .

ثم سارعت فأعطيت ما كتبت لأبى ، وحظيت منه بابتسامة صامتة لم أستطع أن أميز وقتها أهى ابتسامة إعجاب أو أنها يمازجها شىء من الإشفاق .

من هذا التاريخ البعيد بدأ خيالى الصغير يُشغل بهذا الشىء الذى يسمّى الشعر ، وبدأت أكثر من الهذرفة والمحاولة والتقليد . وقد أكسبتنى هذه المحاولات المبكرة التعلق بالشعر ، وحبه ، والقدرة على الحفظ والاستجابة للنغم الكلامى .

ألحقنى أبى - الذى كان قد نذرنى للأزهر الشريف - بعد ذلك بمعهد القاهرة الدينى ، ووجدتنى مع زملائى أدرس الفقه والنحو والتوحيد والحساب والجغرافيا والسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين ، ولم يكن للشعر نصيب إلا حصة المحفوظات التى لم تكن تحظى لدى الأساتذة والطلاب معًا بشىء من الاهتمام ، وكان يكفى الطالب أن يحفظ بعض الأبيات يلقيها أمام لجنة الامتحان الشفوى آخر العام . وكان هذا الامتحان نفسه لا يظفر بالاهتمام الواجب ؛ إذ كان التركيز فيه منصبًا - إن وجد - على حفظ القرآن الكريم ، فقرّ فى نفسى من أول عام لى فى الأزهر أن سبيل الشعر إمّا كنتُ سالكَه علىَّ أن أسلكه وحدى .

بعد أن أديت امتحان السنة الأولى الابتدائية بمعهد القاهرة الدينى زرت فى طريق عودتى إلى القرية ابن عمتى الأستاذ عبد البارى خطاب - عليه رحمة الله - وكان مدرسًا للغة العربية بوزارة

التربية والتعليم ، وهو أحد خريجى كلية اللغة العربية بالأزهر ، وكان خطيبًا شاعرًا ، فقدم لى كتابين قيمين نصحنى أن أقرأهما فى الإجازة الصيفية ، أولهما كتاب «المنتخب من أدب العرب» وهو من خمسة أجزاء ، ألفه طه حسين وأربعة معه ، والآخر كتاب «التوجيه الأدبى» لمؤلفى المنتخب أنفسهم . وجدت فى كتاب المنتخب اختيارًا لشعراء العربية بدءًا من امرئ القيس فى العصر الجاهلى وما بعده فى العصور الأدبية المتوالية حتى العصر الحديث . فأقبلت على القصائد المختارة أقرأ ، وأحفظ منها ما أحفظ ، وأباهى أقرانى وزملائى بما أحفظه ، وما أحصله من مفردات جديدة لا عهد لهم بها . ومن خلال كتاب «التوجيه الأدبى» حصلت شيئًا من تاريخ الأدب ونقده ، وطرفًا من الأجناس الأدبية الأخرى ، وتعريفًا بها بدءًا من المرحلة اليونانية ، وانتهاء بالعصر الأوروبى الحديث . وكان هذا بابًا لمجال واسع علىّ فى ذلك الوقت المبكر . وكلما حصلت شيئًا فى هذا الميدان أدركت أن الشوط طويل وأن المدى واسع وأننى تائه غريب ، وأحسست أيضًا بضرب من التفرد بين زملائى مما جعلنى أشعر بالاغتراب ؛ إذْ لم يكن أحد ممن أعرف فى هذه المرحلة يهتم بمثل ما أهتم به ، ويحاول مع الشعر شيئًا مما أحاول .

فى الرابعة عشرة من العمر ، وكنت ما أزال فى المرحلة الابتدائية ، وقعت فى «الحب» وبطبيعة الحال كان حب المراهقة ، وكانت إحدى جارات بيتنا فى القرية ، وكانت تكبرنى بعام ، وكانت أكثر نضجًا منى . وكانت كلمة «الحب» نفسها فى قريتى مما يعاب فى هذا الزمن أى فى الخمسينيات من القرن الماضى . وكم أحسّ بالدهشة والحسرة على أبناء جيلى عندما أذهب إلى قريتى الآن ويدور حديث مألوف غير منكور عن أن فلانًا «يحب» فلانة ، أو أن فلانة «تحب» فلانًا . ويفيض بقلبى الألم على ما حدث لى فى ذلك الزمن الغابر الذى كان المرء يشعر فيه بخزى شديد إذا أذيع سرّ حبه . كنت أحسّ فى ذلك الوقت أنى أحمل بين جنبى سرًّا خطيرًا من أسرار الكون ، وبقدر ما كنت أشعر بالسعادة الغامرة أن اختارتنى المقادير لهذا الحب كنت أحسّ بالرثاء لنفسى مما أعانيه من كتمان ، وبدوت بينى وبين نفسى رومانسيًّا حالمًا ، وكنت أعزى النفس بأنّ هذا من قدر «الشعراء» ، ووجدت فى محاولاتى الشعرية متنفَّسًا أفضي فيها بذات نفسى وأبوح بما ينوء به القلب المكلوم . ومَثَّل لى الحب فى هذه المرحلة رافدًا كنت أراه ضروريًا من روافد الشعر ودافعًا

من دوافعه ، وكم رأيت نفسى فى بعض الشعراء العذريين ، وكنت لا أستطيع أن أكفكف نفسى عندما كانت عيناى تغرق بالدمع ، ويشرق به حلقى لقراءة قصيدة من قصائد مجنون ليلى أو جميل بثينة ، ولعل فتنتى بمسرحية مجنون ليلى لأحمد شوقى فى هذه المرحلة كانت بسبب أنى خيّلتْ لى نفسى أنى أنا «المجنون» .

ولى مع مسرحية أحمد شوقى «مجنون ليلى» قصة فيها من الطرافة طرف ، ذلك أنى كنت فى الرابعة الابتدائية ، وكنت جالسًا فى الفصل أقرأ هذه المسرحية وقد وضعت يدى بها أسفل درج المقعد الذى أجلس عليه ، ودخل مدرس حصة المحفوظات الذى كان يدخل الفصل علينا لأول مرة بعد مرور أكثر من نصف العام ، إذ كان ذلك فى أواخر فبراير سنة ١٩٥٨م ولم أشعر به لأنى كنت مندمجًا مع المشهد الذى يبكى فيه مجنون ليلى على قبرها اندماجًا كاملاً ، وطلب المدرس من الطلاب أن يخرجوا كراسات المحفوظات ليملى عليهم قصيدة يكتبونها ، ولم أستجب للطلب لأنى لست معه ، فأتى إلىّ متمهلاً، وأنا لا أشعر به ، ووجد فى يدى المسرحية فأخذها منى – وكنت

قد استعرتها من أحد الطلاب الذين يسبقوننى - ولما لم تكن معى كراسة للمحفوظات وبَّخنى توبيخًا شديدًا ونقلنى إلى مقعد خال أمام الطلاب عن يمين المدرس ، وحرمنى من متابعة القراءة بإبقاء المسرحية معه ، وكان قد هم بقطعها قسمين ، ولم يكمل ، وألقى القصيدة على الطلاب بيتًا بيتًا وكانت عن الوحدة بين مصر وسوريا التى كانت قد تمت منذ أقل من شهر ، ولما فرغ سأل : من يستطيع قراءة القصيدة ؟ وكانت من حوالى أربعة وعشرين بيتًا ، ومطلعها ما زلت أذكره وهو :

سلامٌ شعب سوريا ومصرا لقد حققت للتاريخ نصرا

ورفع عدد قليل من الطلاب أيديهم وكنت أحد الذين رفعوا أيديهم مستجيبًا لطلب قراءة القصيدة ، وحانت من المدرس التفاتة إلىّ فرآنى أرفع يدى ، فقرَّعنى ووبَّخنى توبيخًا شديدًا . وقلت له فى أدب شديد : لماذا توبخنى ؟ حضرتك طلبت من أحد الطلاب أن يقرأ القصيدة وأنا واحد من هؤلاء الطلاب . فقال لى : أنت لم تكتبها ! فقلت له : سيادتك طلبت قراءتها وأنا مستعد لذلك . فقال مندهشًا : اقرأ . وأسمعته القصيدة كاملة من الذاكرة ، وكنت سلّيت نفسى بحفظها منه عند إملائها على

الطلاب . وبعد أن فرغت من قراءتها ، اعتذر لى بشدة عما بدر منه من توبيخى ، وامتدح ذكائى أمام زملائى ، وكان مما قاله لى «والله يا بنى لم أكن أعرف أنك عبقري» فأحسست أنه ردّ لى اعتبارى . وكان الفضل فى ذلك لقوة الحافظة التى مرنت على حفظ الشعر ، وتمرست به .

فى المرحلة الثانوية عرفت دار الكتب بفضل بعض أساتذتى فى المعهد الدينى ، فبدا لى أن الباب الذى ظننته من قبل واسعًا ما هو إلا كوة صغيرة جدًّا على عالم الشعر ، ووجدتنى أمام تيارات جارفة ، وأرفف عالية تحوى كنوزًا من المعرفة تحتاج إلى أعمار مضاعفة حتى ينال المرء منها قسطًا محدودًا . ولكن الاختيار كان واضحًا لى ، إذ توجهت إلى كتب الأدب فى هذا الوقت ، وكان هذا الجانب نفسه واسعًا جدًّا ، فكنت أقرأ ما يتاح لى منه على غير اختيار . ولم أكتف فى هذه المرحلة بما يتيحه الوقت المحدود من قراءة فى دار الكتب ، بل كنت أقتطع مما يعطينى أبى لإقامة الحياة فى القاهرة قروشًا قليلة أشترى بها بعض الكتب المستعملة التى كان باعتها يعرضونها أمام مسجد الجامع الأزهر ، حيث كنا نذهب إليه قبل صلاة العصر إلى ما بعد صلاة

العشاء للمذاكرة فى معظم أيام الأسبوع . وكلما قرأت شيئًا أدركت أن بينى وبين ما أريد من الشعر بونًا بعيدًا تتقطع دونه الأنفاس .

وفى المرحلة الثانوية تكشف لى كثير من الأمور . أدركت وزن الشعر دراسة بعد أن عرفت بعضه اجتهادًا ، وبدأت أكتب كلامًا موزونًا مقفى أعرضه أحيانًا على زملائى فيستحسنه بعضهم ، ولا يراه بعضهم حسنًا ، وليس بين زملائى وقتها من يقول الشعر أو يهتم به أو يحاوله .

فى هذه المرحلة كانت نفسى تتطلع إلى من أجلس إليه يستمع إلى ما أكتب من شعر ، ويبدى لى فيه رأيًا . وفى شهور الصيف فى قريتى لم أجد أحدًا يمكن أن يكون له هذا الاهتمام ، ولذلك كنت أسير على قدمىَّ مسافات طويلة لأجلس إلى صديقى عبد الفتاح علام - عليه رحمة الله - الذى كان يسبقنى فى الدراسة بسنوات ، ويكبرنى فى السن بأكثر من سنوات سبقه الدراسى ، وكان له اهتمام بالشعر ، وكان يحاول شيئًا منه ، ولكن محاولاته لم تكن على مستوى محاولاتى ، ولذلك أعجب بى ، وأفسح لى مجال مصادقته برغم فارق السنّ ، وكنت أذهب إليه فى

قريته المجاورة ، وأقضى معه وقتًا طويلاً ، وأحيانًا أعود إلى قريتى وحدى فى ظلام الليل الدامس ، وفى الطرقات المخوفة المحفوفة بعدد من المخاطر ، وأذكر أنه زادت علاقتى به وثوقًا عندما كتبت إليه مرة قصيدة أهنئه فيها بالعيد وأشكو له لواعج الشوق من حب من أحبها فى هذه الفترة ، وفى ختام هذه القصيدة أقول :

أشكو إليك وما أخاف ملامةً ... فمن اسمها قد رُكِّبت أتراحى

فالزاى زادت فى هواى تضرما ... والياء قد جلّت عن الإفصاح

والنون نلت من الصبابة ما ذوى ... بنضارتى فَدُرجت فى الأشباح

والباء بعد وابتلاء أحبة ... فاحفظه سرًّا بين صدرك صاح

هذى الشكاة زفرتها ومدامعى ... تهمى كصوب الهاتن السحّاحِ

فأجابنى العيد السعيد بقوله ... أبدلت منها عابد الفتاحِ

فامرحْ وغنّ وكن بيومىَ نَاعمًا ... واملأ فضاء الأفْق بالتصداحِ

كان الحب فى هذه المرحلة خيالاً أعيشه وحدى ، لا يدرى الطرف الآخر عنه شيئًا على الإطلاق ، وأجد هذا الحب وقودًا يذكى نار الشعر ويلهب أوراها .

وفى هذه الفترة كان هناك شاعر يحضر كل عام ينشد قصيدة فى حفل بمناسبة المولد النبوى يقيمه أقارب لى ، كان اسمه عبد المنعم عبد الله وهو والد المطرب الذى توفى شابًّا واسمه عمر فتحى ، كان هذا الشاعر صديقًا لأحد أقاربى هؤلاء ، وكنت أحسّ أن فقرة إلقاء القصيدة فى الحفل تخصنى وحدى ، ومن المؤسف أن هذا الشاعر توفى شابًّا أيضًا ، فرأيت أن أخلفه فى فقرة الشعر ، فكنت أستعد للمناسبة بإحدى القصائد التى أسعد بإلقائها فى هذا الحفل السنوى ، وكنت أغرب فى اختيار الألفاظ ، وكأنى منفلت من العصر الجاهلى ، ومثال ذلك ما أقوله فى إحدى هذه القصائد عن الهجرة النبوية :

لبستْ قشيب الذكر ذكرى تعبقُ ... بشذا البطولة كلّ عام تشرقُ

ذكرى بصاحبها تهيـم تلهّفـا ... مضغٌ تلَظّى فى الضلوع وتحرقُ

وترنّ إرنان الرّقـُوب قلوبنـا ... شوقًا إليها ، والكرامُ تشَوَّق

ولكن ملاحظة والدى - رحمه الله - على هذه القصيدة جعلتنى فى العام التالى أجنح إلى شىء من السهولة واليسر وأبتعد عن الألفاظ المقعقعة إذ قال لى : إنك تكتب لنفسك لأن أحدًا من الحاضرين لم يفهم عنك شيئًا .

حاولت بالحب أن أليّن لغتى ، فكتبت لذكاء - وهى الفتاة التى تزوجتها فيما بعد - عددًا من القصائد ، وعندما أقول كتبت لها أقصد أننى كتبت عنها ؛ لأنها لم تر شيئًا مما كتبته فى هذه المرحلة حتى الآن ، كتبت أهنئها بالنجاح :

إذا رفّ النسيم مع الصباح ... وداعب غض أوراق الأقاحِ

وسال النور من شمس ضحوك ... ليوم باسمٍ كالحب ضاحِ

وغردت البلابل لحن فوز ... جميل فى الغدوّ وفى الرواحِ

فلا تنسَىْ فؤادا ذاب وجدًا ... يزف إليك تهنئة النجاح

نجاحك يا ذكاء روى صداه ... وأطفأ فيه آلام الجراح

هنيئًا يا ذكاء فكل جدّ ... حرىّ أن يكلل بالنجاحِ

وكتبت فيها أيضًا :

طلعت ذكاء بحسنها تتألق ... وبدتْ فخلت ذُكاء أخرى تشرق

تزجى برقّتها القلوب لساحها ... سِيّان من يهوَى ومن لا يعشق

والشمس إن طلعت ترى عبادها ... ولّى إليها الوجه حيث تحلق

* * *

طلعت ذكاء فهبّ قلبى كى يرى ذوب الجمال بوجهها يتدفّق

فرأى الضلوع تحول دون مراده فمضى طوال الليل فيها يخفق

كنت أحتفظ بهذا الشعر ، وغيره من شعر هذه المرحلة فى أوراقى الخاصة ، ولكنه ضاع جميعه مع أوراق أخرى غالية على القلب بعضها يتضمن خطابات والدى وبها شىء من شعره عندما انتقلنا إلى بيتنا الذى نقيم به الآن .

وفى المرحلة الثانوية اقتربت من عدد من أساتذتى الذين كانت لهم شهرة فى المجتمع الثقافى والاجتماعى . وأول هؤلاء المحقق العلامة السيد أحمد صقر ، وأحمد الشرباصى ، وفتحى عبد المنعم ، وعبد الفتاح سالم ، وعبد المنعم النمر . وكان للسيد صقر أسلوب مختلف عن زملائه فى التدريس وكان يدرس لنا البلاغة ؛ إذ كان يعتمد على إقرائنا نصوصًا من أمهات كتب الأدب ، ويطلب إلينا أن نبين فهمنا الأدبى لها ، وكان لا يلتفت إلى الكتاب المقرر ، وإذا التفت إليه فلكى يبين ما به من أخطاء .

وكان مما لفت نظر الأستاذ السيد صقر إلىّ أنه طلب منى أن اقرأ أبياتًا فى كتاب «يتيمة الدهر» للثعالبى ، وهى أبيات لسيف الدولة الحمدانى يقول فيها :

أقبَلُــه علــى جـــزع ِ   كشـرب الطـائـر الـفـزع ِ

رأى مـــاءً فأطمعَـــه   وخـافَ عـواقِب الطـمَع ِ

وبعد قراءتها طلب إلىّ التعليق عليها ، ولم يكد يسمع منى الجملة الأولى التى قلت فيها «هذه أبيات راقصة» حتى قال : «كفى ، عرفنا من تكون» وقربنى منه بعد هذه العبارة القصيرة ، وقال لى بعد الفصل : أنت تكتب الشعر ؟ فقلت له : نعم . كيف عرفت ؟ قال : التعليق الذى قلته على أبيات سيف الدولة لا يقوله إلا من يحب الشعر ويحاول كتابته ، وسألنى أن أسمعه شيئًا من شعرى ، فأنشدته قصيدة مطلعها :

جاءت إلىّ وكان الشوق حاديها   والحب أنشودة كانت تغنيها

فأخذنى معه وجعلنى أنشدها للطلاب فى الفصول الأخرى . رحم الله هذا الأستاذ الشجاع الذى كان يشجع تلاميذه ويأخذ بأيديهم .

وكان يطلب إلى بعض الطلاب – وكنت واحدًا ممن طلب إليهم ذلك – أن يذهب إلى قسم المخطوطات بدار الكتب ليحقق إحدى القصائد المقررة ويقارن بين الأصل الموجود فى

الديوان المخطوط والنص الموجود فى الكتاب ، ويكشف مدى التجاوز والتغيير ، ويعرفنا النتائج التى تترتب على هذا التصحيف والتحريف . وقد أفدت من تدريس السيد صقر ما لم أفده من الكتاب المقرر الذى كان بعض الطلاب يحتجون به على السيد صقر ويتنادَوْن من آخر الفصل : «الكتاب !» فيرد عليهم قائلاً : «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم» .

كان أبى معجبًا بأحمد الشرباصى ، يتابعه منذ نشأته ، وكان يقول لى إنه كان يقرأ له رسائل فى مجلة «الرسالة» التى كان يرأس تحريرها أحمد حسن الزيات وهو بعد طالب فى المرحلة الابتدائية ، ولذلك حين اقتربت منه وقربنى إليه وجدت فى ذلك شيئًا يُرْضى عنى والدى ، وأذكر أننى كتبت للشرباصى رسالة طويلة ضمنتها قصيدة فى مدح صفاته ، وردّ علىّ برسالة شاكرة مقتضبة يقول فيها «تلميذي النجيب ... قرأت رسالتك التى بعثت بها إلىّ وقصيدتك التى تفضلت فحييتنى بها ، وأسأل الله أن يجعلنى كما تظن ، وآمل أن أراك فى مطلع العام الدراسى وأنت ممتلئ أملاً وثقة» ومهرها بتوقيعه . وعندما أطلعت أبى على هذه الرسالة مباهيًا قال لى : إنه يعلمك كيف تكون الكتابة !

ولكنه لم يستطع أن يخفى بعض السرور الذى تسلل إلى أساريره من نفسه .

كان السيد صقر جريئًا على النظام السائد فى المعهد الدينى كما كان جريئًا على المقرر ، فكان يُدخِل معه فى حصة البلاغة بعض زملائه ، فمرة يدخل معه أحمد الشرباصى ، ومرة فتحى عبد المنعم ، ومرة عبد المنعم النمر ، ويدور حوار يشارك فيه الطلاب ، ويجنى بعضهم من هذا الحوار الحى فائدة كبيرة ، وكان السيد صقر يصطحب معه بعض تلاميذه ذوى المواهب من الفصول الأخرى فيلقى على زملائه قصيدة أو يقرأ بحثًا من الابحاث التى كان يكلف طلابه بها . وكان قد اصطفانى أنا وحامد طاهر لنسخ بعض المخطوطات ، وأبلينا فى ذلك بلاء حسنا ، وقد ترددنا كثيرًا على بيته وسهرت معه ليالى فى مكتبه ، وكانت أول مرة أرى فيها بيتًا غطيت جدرانه من الأرض للسقف بالكتب ، وأنًى تنقَّل الزائرُ وجد الكتب على هذا النحو فى كل مكان بالبيت .

عن طريق السيد صقر عرفت حامد طاهر وأحمد درويش رفيقى رحلة الشعر فيما بعد . أما حامد طاهر فكان السيد صقر قد دعاه ودعانى معه لتناول الغداء فى أحد مطاعم الكباب الشهيرة .

وقال لنا : ليقدم كل منكم نفسه للآخر على الطريقة الشامية . كان حامد فى فصل مختلف عن فصلى وكذلك كان أحمد لاختلاف مذاهبنا الفقهية . وكنت رأيت حامد من قبل وأنكرت منه أنه لا يلبس الزى الأزهرى ، وكان فتى نحيلاً أضفى النحول عليه طولا ، وكنت أراه مع المترددين على جمعية الشبان المسلمين فى مساء الاثنين والأربعاء من كل أسبوع ، وقد غفر إنكارى عليه عدم ارتداء الزى الأزهرى أنْ كنا ليلة نحضر أمسية شعرية فى جمعية الشبان المسلمين وسمعت زميله المرافق له يقول له : عما قريب نسمعك إن شاء الله وأنت تلقى شعرك فى هذا المكان . إذن هذا الفتى النحيل الذى لا يرتدى الزى الأزهرى شاعر . ووددت لو تعارفنا ؛ ولذلك سررت لدعوة السيد صقر له ، وقلت فى نفسى جاءت الفرصة التى كنت أتحينها .

فى هذا اليوم حدث شىء طريف شبيه بشىء حدث من قبل . ففى طريقنا سيرًا على الأقدام من المعهد الدينى إلى العتبة التقينا بشيخ معمم يلبس تحت الزى الأزهرى القميص الأفرنجى والبنطلون ، وكانت أزرار كمى القميص من المعدن الأصفر ، ويبدو أنها من الذهب ، عرفت فيما بعد أنه الأستاذ محمد خليفة

الذى صار فيما بعد الدكتور محمد خليفة . وقف معه السيد صقر وتكلما بعض الدقائق وأنا وحامد بجوارهما نسمع ما يقولان ولا نشارك بالطبع فيه . وقال محمد خليفة للسيد صقر : هل سمعت القصيدة التى قالها حسن جاد - أحد شعراء الأزهر المعروفين - فى هجاء الشيخ عبد الغنى عمارة الذى كان قد عين عميدًا لكلية اللغة العربية قبل ذلك بأيام . فسأله السيد صقر أن يسمعه إياها ، فأخرج محمد خليفة ورقة قرأ منها القصيدة كان فيها من مطلعها :

اعْوِ يا ذئبُ وانهقى يا حماره   قد تولّى العمادةَ ابْنُ عماره

أصبحت دار يعرب غرزة الفصحى   وأضحت لأهلها خماره

لو تراه يدس فى الفم شيئًا   لا أسميه أو يلفُّ سجاره

إلى أن أنهى القصيدة ، ولم تكن طويلة ، إذ كانت لا تزيد على خمسة عشر بيتًا ، وضحكا معًا طويلاً ، ومضى الشيخ محمد خليفة متجهًا إلى المعهد ، ومضينا متجهين إلى مطعم الكباب فى أول شارع الجيش من العتبة . أكلنا الكباب مع أستاذنا السيد صقر فى مكان محترم ولعلها كانت أول مرة ، وطلب لنا شيئًا جديدًا علينا يسمى «عيش السرايا» . وأثناء أكل الحلو قال السيد

صقر : ليتنا كتبنا القصيدة التى ألقاها علينا محمد خليفة ! فقلت له على الفور : لا بأس ، يمكن أن نكتبها الآن . فدُهِش الرجل ، وأخرجت ورقة وقلمًا وكتبت له القصيدة كما ألقاها الشيخ محمد خليفة لم أخرم منها بيتًا . فسُرَّ السيد صقر بكتابة القصيدة ، وبحفظى لها من سماعها أول مرة ، وكان بعد ذلك يسمينى ذا الذاكرة الذهبية .

مشينا معَ السيد صقر حتى أوصلناه إلى بيته ، وشكرناه ، ومضينا معًا حامد وأنا ، وقد تعلقت به تعلقًا شديدًا ، وظللنا معًا نمشى فى شوارع القاهرة ونتكلم فى أمور الشعر وأسمع منه شعره ، وأُسمعه ، ولفت نظرى أن شعره مختلف ، فعلى حين كنت أجنح إلى الألفاظ المعجمية الجزلة ، كان لفظه سهلاً عذبًا لطيفًا مأنوسًا ، وعلى حين كنت أكتب عن الهجرة ، ومدح الرسول ﷺ ، كان يسمعنى شعرًا عن ثورة يوليو وأم كلثوم وبعض المشاعر عن الأعمى والخادم ، وهجاء بعض المشايخ ومدح بعضهم . وقد أثنى يومها على قصيدة لى كنت قد كتبتها بعنوان «الحب الدفين» . قلت لنفسى : صار لى صديق شاعر فعضضت على صداقته بالنواجذ . وسرعان ما انضم إلينا أحمد درويش وكان قد أعجبنى

منه من قبل أنه كان يلقى فى فصلنا بحثًا عن ابن الرومى ، وأثناء قراءته للبحث خطف السيد صقر من يده فى حركة مسرحية البحث وطلب إليه أن يستمر ، فلم يتلعثم أحمد واستمر فى الكلام كأنه يقرأ من كتاب مفتوح . ولكن بعد ذلك بأيام أعلن السيد صقر أن إدارة المعهد وافقته على عمل مجلة طلابية تنشر فيها بحوث الطلاب - وكنت بتوجيه منه أعددت بحثًا عن البحترى وأعد حامد بحثًا عن المتنبى وأعد أحمد بحثًا عن ابن الرومى - والتف الطلاب يسألون الأستاذ عن كيفية النشر وشروطه ، ووقفت أفكر فى سؤاله عن الشعر ، وبينما كنت أدير السؤال فى نفسى وأحاول اختيار العبارة التى أصوغه بها قفز أحمد درويش وكان صغير الحجم ولا يرتدى أيضًا الزى الأزهرى وقال للأستاذ السيد صقر : هل سيكون للشعر نصيب فى هذه المجلة ؟ وأعجبنى سؤاله عن الشعر واقتحامه ، فأمسكت بيده وأخذته بعيدًا عن التحلق حول الأستاذ وسألته : لماذا تسأل عن الشعر ؟ فأجابنى باعتداد كبير أنه شاعر قد اختطّ لنفسه الدفاع عن القضايا الإسلامية . ومرة أخرى أعجبنى منه أنه يتكلم بثقة عن طريق واضح ، وخط مرسوم ، ولما طلبت إليه أن يسمعنى ،

لم أجد شعره على مستوى جرأته واقتحامه ووضوح السبيل لديه ؛ إذ وجدته ينظم بعض الأحاديث النبوية المقررة دراسيًا فى لغة تحتاج إلى كثير من الضبط والإتقان .

التقينا إذن فى حمى أستاذنا السيد صقر الذى لم يقرب أحمد منه كما قربنى أنا وحامد ، وكنا نحاول معه ويُعرض ، وطلبنا إليه أن يعطى لأحمد مخطوطًا ينسخه ، فلم يوافق ، ولكننا تشبثنا نحن الثلاثة كل منا بالآخر ، وفرحنا بهذه العلاقة فرحًا شديدًا ، أو على الأقل فرحت أنا بهذه العلاقة فرحًا شديدًا ، وقد تعلمت فيما بعد أنه فى مجال العاطفة لا أتكلم إلا عن نفسى .

بدأت علاقة هذا «الثلاثى» فى أوائل السنة الثالثة الثانوية ، وكان أمامنا للحصول على الثانوية الأزهرية سنتان بعد الثالثة ، وكنا إذا ذهبنا إلى قرانا فى الصيف بقى حامد فى القاهرة حيث يقيم أهله ، ويتردد على دار الكتب ، ويقيم علاقات متنوعة ، وكنا نتراسل أسبوعيًا فيكتب لى حامد عما يقرأ فى دار الكتب وغيرها ، ويكتب لى آخر ما كتب من الشعر ، وفى بعض الأحيان يكتب شيئًا من الشعر يخصنى ، ولا أنسى قصيدة كتبها لى يهنئنى فيها بالعيد يقول فيها :

إليك أسوق تحناني ومنك أصوغ ألحاني

وقد يتجرأ الإنسا ن لكن أنت إنساني

عرفتك فاهتدى قلقي ورقّ لديك وجداني

وعبّ النورَ من إخلا صك الفطرىّ حرماني

فياكم عشت فى الدنيا غريبًا بين خلاني

ألاقى ما يلاقى الطيـ ـرُ خلف عَتِىّ قضبانِ

وأرد عليه بقصيدة مماثلة أبادله فيها المودة بمثلها ، وأهنئه أيضًا بالعيد ، آخرها :

فعيدى ليس عيد النا س لكنْ يوم تلقاني

ويكتب إلىّ مرة بعد أداء الامتحان فى السنة التى رَدّت فيها السعودية كسوة الكعبة المشرفة ، وأمر جمال عبد الناصر أن تعلق كسوة الكعبة فى مسجد الجامع الأزهر فأصبح الأزهر مزارًا لفئات مختلفة من الرجال والنساء والشباب والصبيان والفتيات ، واختلط الحابل بالنابل فى الأزهر الشريف ، واشتد الزحام ، وضاعت حرمة المسجد ، كتب حامد لى يقول :

أتذكر يا محمد يوم كنا ... نؤلف من صفاء الحب لَحْنا

غداة نعيش في بؤس امتحانٍ ... ولكن السعادة في يدينا

وأرد عليه قائلاً :

أجلْ ذكراك لا تُنْسى ... فلن أنساك لن أنسى

أأنسى حلو أيام ... همسن بعمرنا همسَا

وطافتْ بي صباباتٌ ... عذابٌ كُنّ لي أنسا

وطفْتَ بها لتسقيني ... وتملأ بالرضا النفسا

إلى أن أنهيها قائلاً :

فليت الإمتحان بَقِي ... وليت البيتَ لا يُكسى

في الشهور الأولى من السنة الرابعة الثانوية دعانا السيد أحمد صقر نحن الثلاثة ، وطلب إلينا أن يعد كل واحد منا قصيدة في مدح الأستاذ العقاد لكي نزوره ونلقى عليه شعرنا في مدحه والثناء عليه ، ولم نعرف الغرض من هذه الزيارة إلا أننا سعدنا بالفكرة ، ونهضنا للمهمة التي كلفنا بها ، واتفقنا فيما بيننا أن تكون قصائدنا من بحر واحد هو الكامل ، وأن يكون الروي واحدًا

هو الدال المكسورة المردفة بالألف - وهذا بالطبع حتى تسمح بكلمة «العقاد» - وألاّ يُطْلِع أحدُنا الآخرَ على القصيدة إلا يوم إلقائها أمام العقاد نفسه .

وبعد أن انتهينا من قصائدنا أبلغنا أستاذنا السيد أحمد صقر ، فحدد لنا يوم الجمعة إذ كانت ندوة العقاد تبدأ فى الحادية عشرة من صباح يوم الجمعة كل أسبوع ، وحدد لنا المكان الذى ننتظره فيه فى ميدان روكسى بمصر الجديدة ، وذهبنا إلى المكان المحدد ، وانتظرنا أستاذنا وقتًا طويلاً ، فقررنا الذهاب إلى بيت العقاد بدونه ، وذهبنا ، وكانت القاعة غاصة بكثير من زملائنا الذين تسرب إليهم خبر هذه الزيارة ، وهناك وجوه طبعًا لمشاهير من رجال الثقافة والأدب والفن ، وكان العقاد حين دخلنا هائجًا غاضبًا ، يتكلم بكلام ثائر ، وعرفنا من خلال حديثه الغاضب أن بعض الحاضرين أثاره بسؤال عن الشعر الحرّ ، فكان مما يقول إن القافية ضرورية للشعر ، لأن الشعر فن له قيوده ، وكل فن له قيوده ، ولا يكون الفن فنًّا إلا إذا حقق هذه القيود ، وإليك ديوانًا من دواوين الشعر الصينى ، انظر فى آخر الأسطر وأنت لا تعرف الصينية ، فسوف تجد أن الحرف الأخير من كل بيت - وهو

حرف القافية - يتكرر فى كل بيت ، أى إن الشعر الصينى يلتزم بقاعدة الشعر والقافية فيه استجابة لهذا الالتزام . وكان هذا الكلام جديدًا علىّ تمامًا ، ولما سكت عن العقاد الغضب عم القاعة سكون شامل مهيب ، وكان هناك شاب يتحرك بين الجالسين ويشير لحامل العصير أن يوزع عليهم ، وعرفت بعد هذا أنه عامر العقاد ابن أخى الأستاذ العقاد ، فانتهزت فرصة مروره بجانبى ، وقلت له إنّ معى قصيدة فى مدح العقاد وأريد أن ألقيها عليه ، فقال لى مرحبًا : إن الأستاذ لا يهدأ إلا بالشعر ، وقدَّمنى لجمهور الحاضرين ، ووقفت متشجعًا بما قدمنى به ، وبدأت أنشده قصيدتى ، وكانت هناك مقدمة ، بعدها أقول :

يا سيدى هذى تحية مبتدٍ ... متعثّر فى ساحة الإنشاد

حار اليراع براحه متهيبا ... وتعللت شفتاه : جف مدادى

فهناك قال القلب خذنى ريشة ... واكتب بها من لوعة الأكباد

ساح الملام بما سأملى ضيّقٌ ... لاسيما فى ساحة العقاد

وعندما ألقيت البيت الأخير رجّ تصفيق الحاضرين - وأغلبهم كما قلت من زملائنا بالمعهد - أرجاء القاعة ، فازداد تماسكى وقويت شجاعتى ومضيت :

لكن ترى ماذا أقول ومدحه　　شدو الصوادح واستمار النادى

أأقول نبع ترتوى فى غبطة　　منه العقول كنهر نيل الوادى

أأقول ذا والنيل يصفو ثم يكدر وهو صاف فى مدى الآباد

أأقول شمس للمعارف أشرقت　　أأقولها والشمس دون مرادِى

فالشمس تشرق ثم تغرب وهو من　　إشراقه أبدًا سنًا متهادِ

وقد قوطعت بالتصفيق أكثر من مرة ، ولما أنهيت إلقائى هبّ العقاد واقفًا فرأيته عملاقًا شامخًا ، ومدّ يده إلى مصافحًا وقال لى : هات القصيدة ، فأعطيته إياها ، ولم يكن عندى نسخة أخرى منها ، وما بقى منها بقى فى ذاكرتى . بعد هذا اقتحم أحمد درويش الموقف – كعادته – وقدم نفسه قائلاً : وهذا مبتدئ آخر ، وألقى قصيدته ، وقام حامد فألقى قصيدته . وحضر أستاذنا بعد أن فرغنا من إلقاء قصائدنا ، وعرفنا بعد أنه تأخر لصلاة الجمعة ، وبعد أن انتهت الندوة استبقانا الأستاذ العقاد مع السيد صقر ، وسألنا : هل أنتم طلاب فى دار العلوم ؟ فقلنا له : إننا مازلنا فى الرابعة الثانوية بالمعهد الدينى ، فنصحنا بدخول دار العلوم وظل يتكلم عن دار العلوم ودورها فى الحياة الثقافية وأن الحركة إليها

ذهابًا وجيئة أشبه بخط النمل ، مما جعلنا نعقد العزم على الالتحاق بدار العلوم . وقال لنا عن السيد صقر : إن أستاذكم هذا رجل مجهول القدر فى هذا البلد !

خرجنا من بيت العقاد قرب العصر ونحن نكاد نطير من النشوة والسرور ، فقال أستاذنا : سنذهب الآن لزيارة شخصية أخرى مهمة لا تقل عن العقاد أهمية ، وسألنا : من ؟ فقال : الأستاذ محمود شاكر . ولم نكن نعرف عنه حتى ذلك اليوم شيئًا، وذهبنا معه طائعين . وفى بيت الأستاذ شاكر وجدنا جمعًا أقل عددًا ولكنهم – فيما بدا من سمتهم – من الصفوة ، ومن أسمائهم عرفنا أن بعضهم من البلاد العربية فكان من سوريا راتب النفاخ ، وإحسان النصّ ، ومن الأردن ناصر الدين الأسد ، ومن السودان عبد الله الطيب ، ومن مصر عدد أولهم الشاعر محمود حسن إسماعيل . والمضحك فى هذا اليوم أن أستاذنا السيد صقر طلب منا بعد أن ذهبنا إلى بيت الأستاذ شاكر أن نخلو إلى أنفسنا فى «الفرندة» ونكتب تحية بالشعر للأستاذ محمود شاكر . واستجبنا وحاولنا ، وكتب كل منا أبياتًا فى غاية الغثاثة والرداءة . وكان هذا حدثًا ظللنا نضحك له ونخجل منه زمنًا طويلاً . عندما أذن لصلاة

المغرب هبّ جميع الحاضرين للصلاة ، وأمَّهم صاحب البيت الأستاذ محمود شاكر وبعد الصلاة استنشده الحاضرون قصيدته الفريدة «القوس العذراء» وبدأ فى الإنشاد ، وتلبسه روح مختلف أثناء الإنشاد ، وبعد قليل فك رباط عنقه ، واستمر فى الإنشاد وبدأ يتصبب عرقًا مع أن الوقت كان شتاء وبعد أن انتهى من إنشاده قال : «إن الشعر العربى ينبغى ألا ينشد إلاّ فى زى عربى ، لأن هذا الزى لا يناسبه» .

عندما استمع إلينا أستاذنا فتحى عبد المنعم قال لابد أن نعقد لكم ندوة بالمعهد لكى يسمعكم زملاؤكم ، وطلب من شيخ المعهد أن يوافق على عقد هذه الندوة ووافق شيخ المعهد على أن تكون يوم الخميس بعد انتهاء اليوم الدراسى . وتحدد اليوم ، وأعلن عنه ، وعن القاعة التى ستكون فيها الندوة ، ولما جاء الوقت المحدد لم يكن فى القاعة معنا نحن الثلاثة سوى فتحى عبد المنعم . وانتظرنا بعض الوقت ولم يحضر أحد ، ولست أنسى حزن فتحى عبد المنعم يومها وأسفه الشديد من أجل ما آلت إليه أمور الطلاب وأمور إدارة المعهد التى تعسفت فى تحديد هذا الموعد ، مع أننا كنا نضحك ساخرين .

اكتشفنا أنه لم يكن بالمعهد غيرنا يكتب الشعر عندما دعا شيخ المعهد - وكان اسمه الشيخ محمد سباق - كل من يكتب الشعر من الطلاب للالتقاء به فى مكتبه فى موعد حدده لذلك . فى الموعد المضروب لم نجد أحدًا سوانا نحن الثلاثة فى مكتب شيخ المعهد ، وألقى إلينا بالمهمة المطلوبة وهى أن يكتب كل منا قصيدة عن «الميثاق» الذى أصدره المؤتمر الوطنى فى عهد جمال عبد الناصر ، وسوف يقام احتفال كبير بهذه المناسبة ويوزع فيه أيضًا جوائز المتفوقين دراسيًّا - وكنت واحدًا منهم طوال سنى الدراسة بالمعهد - وسوف نختار قصيدة واحدة فقط للإلقاء فى هذا الحفل ، عندما خرجنا من مكتب شيخ المعهد بادرنا أحمد بأن عنده قصيدة جاهزة فى الميثاق - وكان عضوًا بالمؤتمر الوطنى - وقال حامد إنه ليس لديه الرغبة فى المشاركة فى هذا الحفل . وليلة الحفل سألنى زملائى الذين كنت أسكن معهم عن قصيدتى التى سأقدمها لشيخ المعهد غدًا ، فقلت لهم إن هناك قصيدة واحدة هى التى ستلقى ، وأنا لم أكتب شيئًا حتى الآن فاستحثونى على الكتابة ، وقالوا إن شيخ المعهد سوف يدعكم جميعًا تنشدون قصائدكم إذا قدمتموها له . فأخذت -

وكان ذلك فى التاسعة مساء – فى كتابة قصيدة أذكر منها فى المطلع :

من وحى عبد الناصر العملاق صيغت إليك مبـادئ الميثاق

وحىٌ تنزَّل كى يشيد دعامة للمجد ، والتاريخ ، والأخلاق

وأنهيتها ببيتين أحيى فيهما شيخ المعهد قائلاً :

وإليك يا شيخى الكريم تحية فلكم نرى من عطفكم ونلاقى

ولقد سبقت إلى المحامد كلها حتى دعيت محمد بن سباق

وفى الصباح أعطيت القصيدة لشيخ المعهد ، وقبل بدء الحفل بدقائق وجدت شيخ المعهد بنفسه ينادى على من اسمه محمد حماسة فدخلت مكتبه وكان حوله مجموعة من المشايخ ، فقال لى إن قصيدتك هى التى اختيرت وسوف تلقيها فى الحفل بشرط واحد هو ألا تلقى البيتين الأخيرين منها ، فقال أحد الحاضرين وهو الشيخ عبد الوهاب فايد – وكان معروفًا بمعارضته لكثير مما فى النظام الأزهرى – يا مولانا ، وهل اختيرت هذه القصيدة للإلقاء إلا من أجل البيتين الأخيرين ؟ وأعجبت بجرأة الرجل وصراحته . وفى هذا اليوم تكشفت لى أمور كان مغطًى

على بصرى فيها لم يزدها توالى الأيام إلا تأكيدًا . فى صبيحة اليوم التالى أدار الدكتور عبد الفتاح سالم - وهو أستاذنا فى التفسير - الحصة على قصيدتى ، وكانت أول مرة أسمع فيها نقدًا على عمل لى ، وكان لطيفًا متسامحًا ، يقيم نقده على المعطيات اللغوية ، وقد وقف طويلاً أمام «فلكم نرى من عطفكم ونلاقى»، وكان يضحك كثيرًا وهو يتهمنى بالمكر فى حذف مفعول الفعل «نلاقى» ويقول: حددتَ ما يُرى وهو العطف، وحذفت ما «نلاقى»، إن الفعل «نلاقى» لا يستعمل إلا فيما يدل على معاناة ومشقة، فلعل التقدير «ونلاقى صنوف العنت» أو «أنواع الهوان» ويغرق فى الضحك أكثر، وهو يقول: أية محامد سبق إليها شيخ المعهد، لقد أغرتك مادة «الحمد» ومادة «السبق» فجعلت منه سبَّاقا إلى المحامد كلها، إنه سباق لغوى، وحمد لغوى، وهو كذب، ولكن أعذب الشعر أكذبه. ويسترسل فى شرح معان لم تخطر لى على بال بطبيعة الحال، ولكن كان لكثير مما قال أثر كبير فى نفسى المتطلعة، وكان ما قاله أحسن ما حظيت به فى معهد القاهرة الدينى الذى ظفرت فيه بصحبة رفيقى درب الشعر حامد طاهر وأحمد دريش، وكانت مناقشتنا المستمرة إحدى وسائلنا فى تطوير أدائنا الشعرى.

التحق ثلاثتنا بكلية دار العلوم التى كانت أملا يراودنا وحلما يداعب أخيلتنا لما نسمعه من نشاطها الدائب وحركتها المستمرة فى الشعر ونقده، والتى أوصانا بها الأستاذ العقاد ونصحنا بالالتحاق بها، وكان ذلك على غير رغبة والدى الذى نذرنى للأزهر، وكان يريدنى أن أتخرج فيه، واتهمنى بأنى التحقت بها من أجل وجود الاختلاط فيها، وبعد لأى ما قبل وجودى بها. وقضينا أيامنا الأولى بها فى تعرفها واختبار ما فيها، وبعد مرحلة لم تطل من الاضطراب والقلق تكيفنا مع الوضع الجديد، والنظام الجديد، يحدونا الأمل، ويدفعنا التطلع أننا سوف نشق الصفوف فيها إلى المقدمة بما نملك من موهبة وبما يملأ قلوبنا من الشعر، ولكنه الأمل المشوب بالرهبة من الأسماء الكبيرة التى كنا نتسامع بها فى الشعر والنقد، وبعد التغلب على الإحساس الطارئ بالشعور بالغربة لأننا فى أرض غير الأرض التى ألفناها تسع سنوات كاملة من سنى التعلم شجعنا زملاؤنا الأكبر سنا الذين كانوا أزهريين مثلنا، وكانوا زملاء لأخى حامد الأكبر وهو أحمد طاهر، وكان مجرد كلام واحد منهم لنا كلاما عابرا يثبت القلب والأقدام فى هذه الأرض الجديدة.

بعد شهر تقريبا من بدء الدراسة رأينا إعلانا على السبورة في فناء الكلية - المبنى القديم بالطبع نضر الله أيامه بكل خير - يدعو الطلاب الذين يكتبون الشعر للقاء مع مقرر جماعة الشعر ، وكان على البطل - رحمه الله - وهو طالب وقتها فى الفرقة الثالثة. والتقينا ووجدت عددا كبيرا من الطلاب يملأون مدرج (أ) يالله! كل هؤلاء يقولون الشعر؟ أين معهد القاهرة من هذا الثراء الخصيب فى المواهب ؟ وشرح لنا مقرر جماعة الشعر النظام المعمول به، وعرفنا أن هناك لقاء أسبوعيا فى يوم الخميس، يختار فيه عدد من القصائد يلقيها أصحابها ويعلق عليها أحد الأساتذة ومنهم المعيدون. وقدمت قصيدة جديدة كتبتها أيامها من وحى ما شاهدته من بعض زميلاتى فى الكلية أقول فيها :

لا تقيمى على الجمال ستارا　　من مساحيق تصرخ استهتارا

وثقى بالذى برته يد الله　　فقد أبدعت لنا الأزهارا

أنت يا أخت درة والدرارى　　غاص من أجلها الأنام البحارا[1]

وقدم أحمد درويش قصيدة طويلة - وهى القصيدة التى أسمعنيها أول ما عرفته - ولم يقدمنا مقرر الجماعة فى لقاء

(١) كان يطيب لأحمد درويش - فيما بعد - أن يقرأ هذه الأبيات مقلدا إلقائى لها بطريقة التجويد فيفخم الراءات، ويبالغ فى التفخيم، ويرقق التاءات والسينات ويبالغ فى الترقيق.

الخميس الأول، وعندما ذهبت أسأله قال لى إن قصيدتك مقبولة لأن «عايدة» أعجبت بها (عايدة زميلته التى تزوجها فيما بعد)، فسألته عن قصيدة أحمد ألم تعجب بها عايدة فنظر إلىَّ شـزرًا قائلاً : إنها ليست قصيدة ، فقلت إنها أكثر من ستين بيتا، فقال قولة لم أنسها قط: «نحن لا نقيس الشعر بالشبر».

كان المعلق على قصائد الندوة هذه المرة هو الدكتور عبد الله درويش - رحمه الله - وقال عن قصيدتى كلاما مال فيه إلى التشجيع لا المؤاخذة مما أغرانى بتقديم قصيدة أخرى كانت من بحر الخفيف وكنت سعيدا بها لأنها أول مرة أكتب فيها من هذا البحر الذى يعز على الشادين، وكانت بعنوان «حطم العود» أقول فيها:

حطم العود يا صديقى فإنـى   فـوق صخـر الأسى تحطم عودى

بعثر اللحن يـا رفيقى فإنـى   غـير مصـغ لضاحك التغريد

ما مراحى وبهجتى ومزاحى   وصداحى وفرحتى ونشيدى

فى حياة تكدّر الصفو قسرًا   وبكأس انتشاءة المرء تودى

بينما المرء فى ربيع شـباب   باسـم الثغر للغد المنشود

يتثنى بعوده الغض مزهوًا بثوب الشباب كالعنقود

كالربيع الضحوك تهتز فيه خطرات الصبًا بصبح جديدِ

إذ يسوق الردى إليه سهامًا ثم يودى بغصنه الأملودِ

كان الذى يعلق هذه المرة هو محمد فتوح أحمد، وكان معيدا لامعا واثقا بنفسه، وكان شاعرًا من شعراء الكلية المعدودين، وكنا نعجب بشعره ونرى فيه نموذجًا لما ينبغى أن تكون عليه القصيدة الحديثة، وقد هاجم فى هذه الندوة قصيدتى هجومًا قاسيا، ورمى شاعرها بالفشل ، وراح يعدد الأسباب التى ساعدت الشاعر على هذا الفشل، وكلما قال شيئًا تضاءلت فى مقعدى ووددت لو اختفيت من هذا المكان ، واذكر أننى خرجت بعدها فلم أذهب إلى البيت، وظللت هائما على وجهى فى طرقات القاهرة، لا أدرى بالوقت ولا أشعر بالمكان، وكان عقلي يعيد النظر فى أمر الشعر كله، وكنت أقول لنفسى : هذا الشعر الذى كنت تعتز به وتحبه، وتشعر به بالتميز على زملائك وأندادك الذين لا يقولون الشعر هو اليوم سبب لشعورك الأليم بالخزى والهوان، وقرت نفسى يومها على هجر الشعر وتركه، فقد كنت أعدّه سببا لظهورى بين زملائى وتفوقى عليهم، الآن هو سبب لشعورى

بالتضاؤل بينهم. ومضيت بعد أن انتهيت إلى هذا القرار لبيتى وارتاحت نفسى لما قررت وكنت أرى وقتها أنصاف الشعراء فى الكلية لا يحققون راحة بالتفوق ولا راحة باليأس، واليأس إحدى الراحتين، وقلت لنفسى إما أن أحقق بالشعر مكانة عليا وإما أن أصمت، فليس كل المتفوقين شعراء ولتكن الدراسة مجالا للتفوق. وظل حديث النفس هذا يلازمنى حتى كان الأسبوع التالى، وقد دعانا زميل من أريتريا اسمه عبد القادر - وكنا نسميه عبد القادر الأريترى - إلى نادٍ خاص بالجالية الأريترية، وذهبنا نحن الثلاثة حامد وأحمد وأنا، ولم يكن هناك شعراء مدعوون لهذه الأمسية سوانا، وكان الذى يعلق على الندوة هو محمد فتوح أيضًا، وقدمت قصيدة فى هذه الليلة بعنوان «البغىّ» وكانت صياغتها مختلفة عما ألفته من قبل، وعندما وجدت أن المعلق هو محمد فتوح وطنت النفس لتلقى مزيد من الاتهام بالفشل، ولكن محمد فتوح فى هذه الليلة أهمل الإشارة إلى قصيدتى تمامًا سلبا وإيجابًا، وأسمع كلاً من أحمد وحامد عن قصيدتيهما ما أسمعنيه عن قصيدتى فى ندوة دار العلوم وكان لاذعًا قاسيا، أو بدا لنا الأمر كذلك. والحق أن بعض كلامه كان مبادئ نقدية عرفنا بعد قليل

أنها مستقاة من محمد غنيمى هلال فى كتابه مدخل إلى النقد الأدبى الحديث الذى كان يدرسه لنا فى هذا العام وغير عنوانه فى هذا العام نفسه إلى «النقد الأدبى الحديث». وقد خرجنا نحن الثلاثة هذه الليلة نمشى فى شوارع القاهرة ونضحك مما حدث، ويبدو أن تساندنا معا لم يصبنا بما أصبت به فى الأسبوع السابق. وكان حامد أكثرنا ثباتا وثقة فقال إن فتوح يعلم مقدار موهبتنا لأنه شاعر قبل أن يكون ناقدًا، وهو يخشى من وجود قوة شعرية فى مثل قوتنا فى الكلية ، فقد تنال هذه القوة الجديدة من مكانته المستقرة، ولذلك يريد أن يخيفنا ويفزعنا ، ومن ثم ينبغى ألا نحقق له ما يريد ولكن الأمر لم يكن على ما صوّر حامد ، وإن كان موقفه أعاد إلينا الثبات. كان فتوح أحمد يمارس أدواته النقدية التى تعلمها ، وكان يقسو من أجل الرغبة فى دفعنا إلى تطوير أدواتنا الشعرية وتصحيح مفهومنا عن الشعر، وسرعان ما ضمنا إليه وسمح لنا بالجلوس معه وزيارته فى بيته ولكننا ظللنا ننطوى على شىء من الرهبة له والخوف منه. الآن بعد مرور أربعين سنة عندما أتذكر معه هذه المواقف يضحك ضحكة فيها شىء من الزهو، وشىء من الأسى أنْ لم يُفْهم موقفه حق الفهم.

فى السنة الأولى بدار العلوم حدث موقفان آخران لهما بالشعر صلة، أمّا أوّلهما فقد أعلنت إدارة رعاية الشباب للذين يكتبون الشعر أن يتقدموا بقصائدهم لاختيار من يشاركون منهم فى أسبوع شباب الجامعات، وحدد موضوع القصيدة أن يكون قوميا، وتقدمت بقصيدة زاعقة مطلعها :

قف يا زمان مع السنا المتهادى حـــىّ انطلاق الفجر فى بغداد

قف حـىّ فيها ثـورة عربـية محقت ظلام الظلم والإفساد

واختير فى هذا العام سعد مصلوح وحامد طاهر، كانت قصيدة سعد جميلة بعنوان «الصفصافة» مطلعها :

حـنّ مـن رقـة وأنّ صـبابهْ وأذاب العـذاب فى شبـابهْ

وكانت قصيدة حامد رباعية رائعة بعنوان «الراعى» ومطلعها:

مـن ربـوة خضـراء نـائـمـة بـأحضـان الـجـبـلْ

سـاق الـنسـيـم الصبّ أغـنـيـة كـرنّـات الـقُـبَـلْ

إلى هنا والأمر مألوف ليس فيه شىء غير عادى، فقد سعدت لحامد كما لو كانت قصيدتى هى التى اختيرت، وكنا وقتها نحسب أنفسنا نفسا واحدة إذا حقق أحدنا شيئا فرح له

الآخران، وإن كنت طويت النفس على أن أحسّن وأجوّد فى شعرى لقابل. وقد ألغى أسبوع شباب الجامعات بعد هذا العام. غير المألوف دعوة الدكتور عبد الحكيم بلبع - عليه رحمة الله - لى عن طريق رعاية الشباب ، وكانت أول مرة ألتقى به ، وكنت أضرب أخماسا فى أسداس ، وطار من قلبى طائر الأمن، فلما التقيت به حيانى بابتسامته البشوش ووجهه الطلق وكلماته المشجعة، ونادانى باسمى كأنه يعرفنى من زمن بعيد، وقال لى أرجو ألا تكون غاضبا لعدم اختيار قصيدتك، قصيدتك جيدة، وكأن عدم اختيارها عن غير قصد ، وطيب خاطرى بكلام جميل، وكان هذا اللقاء وهذا الكلام الجميل عندى أجمل مما لو اختيرت قصيدتى . وكان كلامه معى درسًا لى لم أنسه قط كلما تعرضت بعد ذلك لموقف الحكم. ولم ينزع محبته من قلبى شيء حتى وفاته فى سنة ١٩٧٧م رحمه الله.

وأما الموقف الآخر فقد علق إعلان فى الكلية أنها ستقيم حفل تأبين فى ذكرى الأربعين للأستاذ العقاد الذى توفى يوم ١٩٦٤/٣/١٢، وسوف يلقى فيه الأستاذ عمر الدسوقى بحثا عنه، وسيكون هناك مجال لإلقاء قصيدة فى رثائه، وعلى الراغبين فى المشاركة أن يقدموا قصائدهم للأستاذ فتوح أحمد، وتقدمت

ضمن من تقدموا، ولم يتقدم حامد مع أنه كتب قصيدة فى رثاء العقاد، وكان رأيه أن التقديم فى هذه المسابقة المحدودة عبث لأنه ما دام فتوح موجودا لن يشارك أحد آخر. كان مطلع قصيدتى:

هل قضى نحبه وهل صار ذكرى وطواه الردى فقصّر عمرا

....

كيف ينـدك شامخ متأبّ عصرته الأحداث والدهر عصرا

ودهتـه فما ألان قناة لعتى أراد للعود كسرا

وفيها :

إن يكن ضمه بأسوان قبْر صار يزهى على المقابر فخرا

فهو بين العقول يتداح فكرًا وهو بين القلوب ينبض ذكرى

يا رُبى الخلد كبرى حين يأتى وافتحى من حنانك الغض صدرا

وامنحيه تحية منك طرسًا وأعدى له يراعًا وحبرا

علّه من علاك يزجى بيانًا كاشفًا عن غوامض الحق سترا

كاشفًا ساحرا به كل أفعى ظنت الموت يبطل اليوم سحرا

فاستفاقت من بعده تتباهى وتلوّت لتنفث السمّ كفرا

ولنا الله بعد يتم يراعٍ صال حرا واليوم يغمد حرا

وله جنة الخلود جزاء ولتعادلْه جنة الخلد أجرا

وصدق حدس حامد، فلم يلق أحد شعرا سوى محمد فتوح، وقد أصابنى هذا بشىء من الإحباط.

كان من المعيدين الذين أحاطونا بكثير من الرعاية والعطف والتشجيع على عشرى زايد - عليه رحمة الله - فقد كان لا يقصر اهتمامه على الندوة الأسبوعية التى تقام كل يوم خميس، بل كان إذا أسمعه أحدنا قصيدة استكتبه إياها وأخذ نسخة منها، ويعود بعد أيام قليلة وقد كتب عنها أكثر من ملزمة ويعيدها مع ما كتب. ولو جمع ما كتبه عن قصائد الطلاب لكان أكثر من ثلاثة مجلدات ضخام. يفعل هذا مبعوثا إليه بروح المودة و التعاطف، والحث والأخذ بأيدى الصغار فى غير منٍّ ولا أذى.

وكان منهم سعد مصلوح وهو شاعر ذو شعر رصين، وكانت سنه - وقد تخرج فى الصيف الذى دخلنا فيه الكلية - مقاربة لسننا، بل أنا أكبره بعامين، وكان هذا مبعث إعجابى الشديد. لقد خلطنا بنفسه، وآخانا مؤاخاة حميمة، وكان ينشدنا من مختاراته أكثر مما ينشدنا من شعره، وقد شكلت رؤيته الناضجة وفهمه للشعر جزءا كبيرا من رؤيتنا.

وكان منهم محمد عيد الذى كان يتمتع بجدية صارمة، وكانت نظرته إلى أستاذ الجامعة أقرب إلى التقديس منها إلى شىء

آخر ، يراه صاحب رسالة من الرسالات الكبرى، وكان يأخذ نفسه قبل غيره بهذه الرؤية، ويحاول أن يحمل الآخرين على ما يرى ، ويأخذهم به، ويريدهم عليه. كان يشارك فى الندوات ويزن كلامه بميزان دقيق، ولكنه إذا أعجب بإحدى القصائد ظل يردد الحديث عنها زمنا طويلا يبادر به صاحبها وإن لم تدع إلى ذلك مناسبة.

وكان منهم محمد أبو الأنوار الذى كان يشارك قليلا فى التعليق على الندوات، ولكن اتجاهه كان أقرب إلى المعايير القديمة، على عكس محمد فتوح الذى كان ينشد الأفكار الجديدة. وكانت أحكامه - أى محمد أبو الأنوار - قاطعة حاسمة. وكان يقف عند اللفظة الواحدة ينشد أناقتها ودقتها من وجهة نظره، وتمثلت لنا ملاحظاته على هيئته واضحة محددة أنيقة حسنة المظهر.

وكان منهم حسن الشافعى الذى بدا لنا فى فكره وأسلوبه وطريقة تعامله أكبر من معيد، لم تكن ملاحظاته جزئية، وكان ذوقه نافذا، وكان أشبه بالقائد المحنك الرحيم، وكان يدرس لنا أحد كتب الدكتور محمود قاسم عميد الكلية وقتها، وكان يهتم بأحسن ما لدى كل منا ويغضى عن هناته، وإذا أشار إلى شىء من هذه الهنات فمع ابتسامة حانية تجعل تقبل الملاحظة سائغا . لم يكن

يعلق على الندوات بل كان تعليقه دائمًا فى جلسات خاصة فى الكلية أو فى بيته الذى كان يساكنه فيه على عشرى.

وقد قربنا هؤلاء جميعا منهم كأننا معيدون بينهم، وبعضهم كان يزورنى فى بيتى. وقد كانت آراؤهم ومناقشاتهم ذات أثر كبير فى تصحيح مفهومنا وتعديل أفكارنا وتشكيل رؤانا، على اختلاف بينهم فى التأثير، وعلى تفاوت فى القرب والبعد. بدت لنا الكلية كلها حركة نشطة من الثقافة والفكر، وكان أظهر نشاطها هو الشعر والنظر فيه، فكأن الكلية كلها تتنفس شعرًا.

فى الصيف لم أذهب إلى قريتى ككل صيف سابق، فقد حصلت على عمل بالقاهرة، وهو العمل نفسه الذى حصل عليه أحمد درويش، ولذلك اتصل لقاؤنا، وتكرر كثيرا. فى أحد لقاءاتنا قال حامد: يجب أن تكون لنا مقررية جماعة الشعر، واختارنى لهذه المهمة، واعتذرت، وقبلها أحمد، وبتدبير ذكىّ من حامد نفذ ما أراد فى أول العام الدراسى، فأصبح التخطيط لجماعة الشعر ونشاطها بأيدينا، وقد زاد من احترام زملائنا وحفاوة المعيدين وبعض أساتذتنا بنا أننا كنا من الأوائل. وقد انضم إلينا عدد من الأصدقاء الذين كانوا يكتبون الشعر مثل عبد الرحمن سالم والسعيد شوارب.

وقام صديقنا حسن البندارى بتأليف «جماعة القصة» التى توازت مع جماعة الشعر، وكانت تعقد ندوتها عقب دروس يوم الاثنين من كل أسبوع وتعاون معه عدد من الزملاء كُتَّاب القصة القصيرة مثل رفعت الفرنوانى - عليه رحمة الله - ومحمود عوض عبد العال ، وعبد الفتاح منصور الذى كان قصاصا واعـدًا ولا أدرى كيف تصرفت به الأيام ، وأخذ بيد هذه الجماعة الناشئة على أبو المكارم ثم عبد الحكيم حسان . وأصبحت الكلية شعلة من النشاط الثقافى حيث الندوات والمهرجانات التى كثر عددها فى العام وكان هناك من قبل مهرجان واحد كل عام، وتردد على الكلية الشعراء الكبار وشعراء جيل الوسط ، وكان أبرز الشعراء الذين ينشدون فى المهرجان نزار قبانى وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى ومحمد الفيتورى وفاروق شوشة، وإسماعيل الصيفى وأنس داود ومحمد فتوح. وألقى الشعراء من الطلاب أشعارهم أمام هؤلاء. وكان عميد الكلية الدكتور محمود قاسم على رأس لفيف من الأساتذة فى مقدمة الحضور فى كل مهرجان، وكان العميد دائمًا يلقى كلمة ترحيب بضيوف الكلية من الشعراء. وكنت أرى الحركة إلى الكلية ومنها فى هذه

المناسبات كما وصفها العقاد أشبه بخط النمل وكان مسرح الكلية يغص بالرواد. وكان شعراء الكلية يستعدون للمهرجان استعدادا خاصا بأن يقدم كل منهم قصيدة جديدة لم ينشدها من قبل فى الندوة أو فى غيرها ، وكان أحمد درويش كثيرا ما يتألق فى تقديم الشعراء الكبار والصغار، وكنا نحن نختار القصائد التى تستحق أن تلقى فى المهرجان.

فى هذه الفترة كانت مصر كلها فى ذروة تألقها الثقافى، فكانت هناك مجلة للشعر، وأخرى للقصة، وثالثة للمسرح، ورابعة للسينما وخامسة للكتاب، وسابعة لتلخيص أمهات الكتب العربية والعالمية تحت اسم «تراث الإنسانية» بالإضافة إلى مجلة ««المجلة» و«الرسالة» و«الثقافة» و«عالم الفكر» ، ومع هذا كله إصدارات أسبوعية ونصف شهرية وشهرية لأنواع من الكتب كأعلام العرب والمسرح العالمى والروايات، والمكتبة الثقافية، وروائع المسرح ، ويواكب هذا أيضًا إصدار جديد لأمهات التراث العربى كالأغانى للأصفهانى وعيون الأخبار لابن قتيبة وصبح الأعشى للقلقشندى والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى، ونهاية الأرب للنويرى، وكانت أثمان هذه الكتب والمطبوعات فى متناول الجميع. كان المد

القومى قبل هزيمة يونيه والشعور الوطنى فى ذروته ، وكان هناك تجاوب فى كل مناشط الحياة مع هذا الشعور الطاغى.

فى هذه المرحلة كتبت قصيدة الشعر الحر ، وعرفت قصائدى طريقها إلى مجلة الشعر التى كان يرأس تحريرها الدكتور عبد القادر القط الذى لم يكن الوسيط بينى وبينه إلاّ ساعى البريد، وكنت أوقّع القصيدة باسمى فقط دون أية بيانات أخرى. كان كل منا مع الصلة الشديدة يسلك سبيله وحده فى نشر قصائده ، ولا يتحدث مع الآخريْن فى شىء من هذا، ويسعد بمفاجأة زميليه بنشر قصيدة له، وكذلك كنا نفعل فى التقدم لجوائز الشعر، وكنا نفاجأ بوجودنا معا فى تسلم الجوائز التى كنا نتبادل فيها المواقع الأولى، وقد لفت هذا نظر يوسف السباعى مرة حين صعدنا أكثر من مرة لتسلم الجوائز فقال: «إنكم سوف تقضون على كل الجوائز».

كان نجاحى بامتياز فى سنوات الدراسة يعزز موقفى الشعرى بشكل ما، وكنا معا مرموقين متألقين، وكل منا يتألق فى جانب، وكان حامد أكثرنا تألقا فى الشعر، وأغزر إنتاجا وتنوعا فى قصائده.

فى هذا العام عاد إلى الكلية بعض المبعوثين الذين حصلوا على الدكتوراه من لندن وكامبردج وهم السعيد بدوى ومحمود الربيعى وحمدى السكوت وكمال جعفر (يرحمه الله) وأحمد غراب (يرحمه

الله) وعلى حبيبة ، وقد درسوا لنا جميعا إلا السعيد بدوى الذى أشعر أن من نعمة الله علىّ أنْ سمح لى فيما بعد بأن أكون قريبا منه .

وقد قلت فى إهدائه كتابا لى :

ليس من نال فى الخلائق جاهًا أو حوى المال كيسه بالسعيد
السعيد السعيد من خصه اللّـــــهُ بفضل فنال ودّ «السعيــد».

وقد أحسسنا نحن - الطلاب - بأثر هؤلاء فى الكلية على تفاوت بالطبع بينهم، وكان عميد الكلية يميل إلى الشباب ويثق بهم ويحثهم على الالتصاق بالطلاب فى المناشط الثقافية. وكنا نسمع عن محمود الربيعى، وقد قرأنا له قصيدة فى مجلة دار العلوم فى سنوات الخمسينيات مطلعها .

أنا عـــائـد مــــن قـــريتى فـــى الـريف أحـكى قصتى

وأعجبنا بها، وكان يحدثنا عنه محمد فتوح، ويقول : سوف يجىء إليكم شاعر ناقد من طراز فريد. وقد كتب فتوح قصيدة جميلة فى استقبال هؤلاء العائدين بعنوان «أمّى الثانية» . سرعان ما جذبنا محمود الربيعى بسلوكه الراقى، وأدائه المتميز، وثقته الكبيرة بالنفس، وتطلعه إلى مساعدة الشباب والأخذ بأيديهم. وكما اصطفانا السيد صقر فى معهد القاهرة الدينى اصطفانا محمود الربيعى فى دار العلوم، ووجدنا فيه أستاذا مستنيرا وأخا .

أكبر وصديقا حميما، وكان أكثر ما لفتنا فيه أول الأمر تعليقه النقدى الذى يصف فيه القصيدة ويحاول أن يفسّر دون أن يصدر حكما بالجودة أو بالرداءة ولم يمض وقت طويل حتى كنا من محبيه وحوارييه، وقد أفدنا إفادة كبيرة من رؤيته النقدية، وبعض نظراته فى الحياة والناس، وترى هذا مصدّقا فى مقدمته الضافية التى كتبها لمجموعتنا المشتركة الثانية «نافذة فى جدار الصمت».

فى هذه المرحلة دعينا نحن الثلاثة لأمسية شعرية لا يشاركنا فيها شاعر آخر فى المركز العام للشبان المسلمين ذلك المكان الذى كنا نتردد عليه فى المرحلة الثانوية وتتطلع نفوسنا إلى الإنشاد على منصته، وكان هذا أمنية يتمناها لنا المحبون، وكان فى هذه الأمسية أستاذ من دار العلوم يقوم بالتعليق النقدى على القصائد التى سنلقيها. ولما ألقينا قصائدنا تقدم هو للتعليق، وكنا نجلس خلفه، وسمعته يقول كلامًا لا علاقة له بقصيدتى ، فهمست لحامد - أو ظننت أننى أهمس - قائلا: «إنه لا يفهم القصيدة» . وكانت المفاجأة التى أصابتنى بكثير من الخجل أنه سمع عبارتى، وعلق عليها بصوت مسموع للجمهور مما زادنى خجلاً. والغريب أنه لم يغفر لى هذه العبارة حتى يومنا هذا، وكانت أحد الأسباب فى كثير مما عانيته منه بعد ذلك.

فى آخر سنة لنا بالكلية ، وعقب أحد المهرجانات الشعرية، انفرد بنا صلاح عبد الصبور - وكان وقتها يرأس الهيئة العامة للكتاب - وطلب منا أن يعد كل منا عددا من القصائد ليطبعها لنا فى ديوان واحد، وسعدنا بهذا الطلب وأسرعنا فى إعداد ما طلب منا ، وذهبنا إلى مكتبه فى الهيئة العامة للكتاب واستقبلنا استقبالا ودودًا ، وسلمناه قصائدنا مجموعة معا ، وسمينا هذه المجموعة «ثلاثة ألحان مصرية» ، وقد تلكأت بتأثير الروتين المصرى ثلاث سنوات ، فلم تظهر إلا سنة ١٩٧٠ ، وتناول كل منا عن هذه المجموعة أربعين جنيها، اقتطعت الضرائب منها خمسة جنيهات ، ولكنى فوجئت فى السنة التالية بخطاب من الضرائب يطالبنى بضعف ما أخذته عن هذه المجموعة تحت عنوان أن مهنتى «مؤلف أشعار» !

راقت لنا فكرة إخراج شعرنا فى ديوان مشترك ، واتفقنا على أن نلتزم بهذا النهج ، ولكننا لم ننفذه إلا مرة واحدة بعد ذلك سنة ١٩٧٥ عندما أخرجنا الديوان المشترك الثانى «نافذة فى جدار الصمت» الذى كتب مقدمته الدكتور محمود الربيعى، وكان أحمد وحامد قد سافرا مبعوثين إلى فرنسا، وأشرفت أنا على تنفيذه . فاجأنا حامد سنة ١٩٨٤ بإخراج شعره فى «ديوان حامد

طاهر» وكان يتضمن ما نشر من قبل فى «ثلاثة ألحان مصرية» و«نافذة فى جدار الصمت» فكان هذا إعلانًا بالتخلى عن الاتفاق السابق ، تحمسنا بعد ذلك فى سنة ٢٠٠١ فى جلسة غداء جمعتنا لتكرار التجربة، ولكن الفكرة تبخرت بانتهاء الجلسة نفسها وكأنها طائف عابر من الحنين إلى الماضى.

كانت سنوات الدراسة بالكلية هى فترة التوهج الشعرى، والأمل، والتطلع إلى المستقبل، والتفاؤل، والفوران العاطفى، وكان الجو العام كله مستجيبا لهذا التوهج على المستوى الوطنى والقومى حتى فاجأتنا هزيمة يونيه المنكرة بما جرته من إحباط وشعور بالخزى والعار.

وكان يوم ٥ يونيه من أيام أداء امتحان الليسانس، فتعطلت الامتحانات، وكأن الحياة نفسها توحى بالتوقف، وكان حامد يقضى معى معظم الوقت، ورأينا أنفسنا معا نبدأ قصيدة تجمع بين السخرية والحسرة، وهى القصيدة التى سميناها «القيادة العظيمة» كان حامد يبدأ بشطر وأكمل الشطر الثانى أو العكس ، تقول القصيدة :

على أى المدافع جئت تسرى ... وتحمل ألف نيشان ونسر
وقد عبرت خطاك بألف جسر ... وسبت جيوشنا فى أرض سينا

* * *

وقالوا خطة لك يا مشير يسير لها العدوّ ولا تسير

ستهزم جمعهم إن لم يغيروا فقلنا : نعم عقل الشاربينا

* * *

نسائل عن «سليمان» و«صدقي» وعمَّا دبّروه ليوم حقّ

فنُخبر أنهم أبناء زقّ وليسوا بالمعارك دارينا

* * *

سليمان يفتش عن صبيّ وصاحبه يساوم في بغيّ

وضباط بمجهود طريّ يخوضون الوغى متثائبينا

* * *

وهذا «المرتجى» أعطوه دُشّا فقد ظن اللّقا في الحرب ما تْشا

رمى بجنودنا للموت عطشى ولم يرَحم لشعبهمُ أنينا

* * *

وفي «بدران» للدنيا دليلُ على أن الحمار له مثيلُ

إذا مالت به موسكو يميل ولم يعرف شمالاً أو يمينا

* * *

هنيئا يا قيادتنا العظيمة فقد رجعت لعادتها القديمة

– كما قالت لنا الأمثال – ريمه أبينا ما فعلتم أم رضينا

* * *

كان هذا فى الأيام الأولى لهزيمة يونيه ، قبل أن يقدم أحد من هؤلاء القادة للمحاكمة، ولم يكن معروفا ما إذا كان أحد سيقدم للتحقيق أو لا ، ولذلك كنا نقول هذه القصيدة سرًّا لبعض الزملاء والأصدقاء، ولكن على عشرى كتبها، وكان يوزع نسخا منها خفية، فلما قدم هؤلاء القادة للمحاكمة بعد ذلك فقدت القصيدة سريتها ، وقد نشر منها فيما بعد الدكتور الطاهر مكى بعض أبياتها فى كتابه عن الشعر على أنه من الشعر السرّى وقال إنها لبعض شبان دار العلوم.

تخرجنا فى هذا العام بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وعينا معيدين كل فى قسم مختلف عن الآخر، واخترت قسم النحو والصرف والعروض، وظننت، أن الشعر سوف يبتعد عنى، ولكنه ظل منى قريبًا، يخايل أحيانا دون أن يتمكن منى، ويلح أحيانا فلا يفصم عنى إلا بقصيدة. وكنت وما زلت أسعد بالقصيدة أكتبها، وأحس أنى بكتابتها قد أسهمت فى صياغة العالم من جديد، وأعتقد أن هذا الشعور الجميل هو المكافأة التى يتلقاها الشاعر على كتابة القصيدة. وقد كنا ثلاثتنا نحسّ أن الدنيا تجدد نفسها عندما يكتب أحدنا قصيدة ، وإذا قال أحدنا قصيدة كان الآخران

جمهوره وناقديه، ومن هنا قويت العلاقة وحدث ما يشبه الاستغناء عن الآخرين، وأصبح «الثلاثى» مقصورا على نفسه أو يكاد.

وظل الشعر بيننا زمنا طويلاً صلة قائمة مقام الوالد على حد تعبير أبى تمام :

أو يختلفْ نسبٌ يؤلف بينَنا أدبٌ أقمناه مقام الوالد

نجتمع حوله ، ونناقش أمره، ونتكاتب به أحيانا. عندما عاد حامد من بعثته فى فرنسا سنة ١٩٨١ كنت فى الكويت فكتبت له قصيدة موجهة إلى ابنته «دينا» مطلعها :

ردّى علينا إذا حييت يا دينا إنا اتخذنا هواكم فى الهوى دينا

وفيها :

سلى أباك فقد كانت أعنتنا فى كفه وهو أنّى شاء حادينا

كنا ثلاثة أتراب يراودنا للنور شوقٌ ومنه كان هادينا

فكان من أنسه رَوْحٌ يراوحنا وكان من رُوحه شعرٌ يغادينا

وكان إمّا افترقنا نبض مهجتنا وكان إمّا التقينا قلب نادينا

وكم سعدنا به والدهر يجمعنا وكم به كُبتتْ غيظا أعادينا

وكم تعبنا ولم يظفر بنا تعبٌ. وكم سهرنا وكم جبنا ميادينا

ولا يزال على ما كان من خلق ما غيرته عن الحسنى عوادينا

ويكتب أحمد درويش من فرنسا أنه اشترى سيارة «تاونس»

فأهنئه بها قائلا:

أبـــا هـــشــــام وإنـــــي	محضـتك الــودّ محْضـــا
مـنّــي إلـيــك تـهـــانٍ	رأيتهـــا لــك فـــرضـــا
بتَــوْنــسٍ فـــي ســراهــا	تكـــاد تـتـرك الأرضـــا
وتمتطـي الـريــح سبحـــًا	إن شئـت طــولاً وعــرضا
ولا تشـكّـــي اهـــتزازًا	فـي الســير عـُلْوًا وخفضا
وأنـــت فيهـــا مـليـكٌ	تشـير فالأمــر يُقْـضــي
مـــن حـــولك الـزُّهْـر تلهو	والبعــض يتبـــع بعضــــا
«رشــا» تشـير «هشـامـًا»	لعــلّ «غـــادة» ترضــــي
فيُـسـتـــشــار «هشـــامٌ»	ويـقــلـب الأمـــر فــوضـى
فـــإن نظــــرت إلـيـــه	رنـــا حيــــاء وأغضـــي
فـــدمــتَ فيهـــم ودامـــوا	فـــي نعمــــة لـيــس تُنْضى
فـــي ظـــل بيــتٍ دفـــيء	يرقـــرق الحـــبّ غضـــا
أبـــا هشــــام وإن الـــــ	حيـــاة تســـرع ركضـــا
مـــرنـــي وأنـــت مطـــاع	بمـــا تشــــاء وترضـــي

هــذى حــقــوق وإنّ الــحــقــوق عــنــدىَ تــقضــى

أقــدم الــروح زلــفــى والمــال إن شئــت قرضــا

ومن اللطيف أن أحمد لم يعلق من القصيدة كلها إلا على الشطر الأخير منها «والمال - إن شئت - قرضا» معترضا على أن يكون المال «قرضا» !

وظل الشعر وسيلتنا طيلة فترة الشباب لنقد بعض الأوضاع التى لا تعجبنا ، وقد كتبنا كثيرًا من القصائد الساخرة نشترك فى كتابتها ، وتتقافز بيننا الأبيات والأشطر ، وقد احتفظ حامد بمعظم هذا الشعر ، وكان حامد يتميز بقدرته الساحرة فى تصوير من يصورهم فى شكل كاريكاتورى ساخر ، وبقدرته على اقتناص أهم الصفات المميزة للشخص المصور ، ولذلك لم يكن غريبًا عليه أن ينفرد بعدد من قصائد هذا النوع ، وأن يؤلف فيما بعد ديوانًا كاملاً بعنوان «ديوان النباحى» وهو ديوان شعر متخيل ينتقد فيه كثيرًا من الأوضاع والصفات والأشخاص . وهذا نموذج من هذا اللون من الشعر الساخر ، فقد كتبنا معًا قصيدة عن «الرّصد» - وهو أحد أهم أعمال الامتحانات -عارضنا بها قصيدة طرفة بن العبد التى مطلعها :

أصحوت اليوم أم شاقتك هر ومن الحب جنون مستعر

نقول فيها إن لم تخنى الذاكرة :

أرصدت اليوم أم شاقتك هر ومن الرصد جنون مستعر

عَصْلجَ المفتاح فى الباب فلم يتحرك والتوى ثم انحشر

فأتى النجار فى كوكبةٍ من شواكيش وأشياء أُخَرْ

ومضى يبذل فيه جهده ثم لما لم يلنْ معْه انكسر

فدخلنا كأسود جوعت ثم ألفت فجأة سرب بقر

كل كف تهبش الكشف فإن شدّ زيد نحوه صاح عمرْ

وطلبنا ألف ليمون فلم يعصر الليمون والعمر انعصَرْ

وسعى كل مريد نمرة سعى ثعبان إلى البيض حذر

فإذا أبصرها ناجحة أطلق الساقين للريح وفر

وإذا ما ظهرت راسبة قطب الوجه حزينا واكفهر

وإذا لم يتمكن منهما لعن الإخوان سرا وانتظر

يا رفاق الرّصد من عهد الأولى رصدوا النجم وعاشوا فى الحفر

لا تلوموا عاشقا فى رصده إنما الرصد قضاء وقدرْ

ولقد صور حامد هذه المرحلة فى قصيدة من أجمل قصائد شعره بعث بها إلىّ من فرنسا وهى فى ديوانه بعنوان «ثلاثة أصدقاء وقمر» يقول فى مطلعها :

كنا ثلاثة أصدقاء

في الصبح يجمعنا لقاء

ومع المساءْ

قمر وأغنية شريده

وقد سعدت بالقصيدة جدا ، ولكن لا أدرى لماذا انقبضت نفسى من بدئها بـ (كنّا) الدالة على المضىّ ، وتمنيت لو أنه قال (إنّا) . غير أن التعبير الشعرى الصادق أدلّ على سوانح النفس من سواه .

وقد ظلت هذه العلاقة قوية ما كان هناك شعر يقال ، وما كانت هناك رغبة فى صديق يسمع ، فهذه علاقة قامت من أول أمرها على الشعر وظلت عليه ، ولم تطور نفسها فى غيره ، فلما باعدت بينا الإعارات ، وجرى المال فى أيدينا ، واختلفت الأهواء ، وخفت صوت الشعر ؛ تقطعت الأسباب ، ولم يبق إلا ذماء واهن يربطها بذكريات عهد الشباب الخصيب .

كنت أتمنى أن يحب أولادى الشعر وأن يكتبوه ، حاوله ولدایَ حاتم وأشرف . حاوله حاتم وهو طفل وكتب أشياء أقَمْتها له . وحاوله أشرف شابا ، ولكنه لم يشركنى فى كثير مما كتب ،

ولكن محاولاته افتقدت أهم مقومات الشعر وهو الوزن . وحاولته ابنتاى مى ونورا ، وكانت نورا أقرب إلى تحقيق شىء فى هذا الطريق لولا أنها شغلت بدراسة الطب .

قالت لى مى يومًا - شأن كل بنت - أنت أعظم رجل ، وأنت أكثر الرجال وجاهة ، فقلت لها أبياتًا ما تزال تحتفظ بها فى اعتزاز ، وهى :

تقول مىّ وكادتْ	تطير عُجْبًا وتيها
أبى أراك عظيما	وفى الرجال وجيها
فقلت والحق عندى	خليقة أبديها
يا مىّ كل فتاةٍ	مفتونة بأبيها

دفعنى حب الشعر من حيث لا أدرى إلى إخضاع تخصصى العلمى لبعض مطالبه ، فأنجزت رسالتى الجامعية الأولى عن الضرورة الشعرية ، وكتبت فصلاً من رسالتى الجامعية الثانية عنه، وعقدت فصلاً عن بناء الجملة فى الشعر القديم فى أول كتبى بعد ذلك ، وكتبت كتابًا عن الجملة فى الشعر العربى ، وكتابًا عن اللغة وبناء الشعر ، وكتابًا عن الإبداع الموازى : التحليل النصى للشعر ، وكتابًا عن الظواهر النحوية فى الشعر

الحر ، وعددًا من الأبحاث المختلفة تتناول بعض الظواهر فيه .
وكان الاشتغال بالشعر يشبع شيئًا من الشوق القديم الكامن إلى كتابته ، ولكن كتابة الشعر شيء والكتابة عن الشعر شيء آخر . وتراودنى بين الحين والآخر تلك الرغبة الملحة فى كتابة قصيدة، كثيرًا ما لا تكتمل ، وقليلا ما تكتمل . ويظل التعلق بأهداب الشعر سرابًا يشدنى وأصدقه حتى إذا جئته لم أجده شيئًا .

أرانى اليوم وقد أكملت الثالثة والستين من العمر أشعر بالخجل إذا عدّنى أحد من الشعراء ، وأشعر بالحزن والأسى إذا لم أعد منهم . وسواء عددت من الشعراء أم لم أعد منهم فإننى على صلة بالشعر ، أقرؤه ، وأحاوله ، وأستمتع بقراءته ، وأستمتع بمحاولته ، وكلما تقدمت بى السن أجدنى مشدودًا إلى الشعر القديم أتأمله وأتطعم بناءه ، وأجد أننا لم نعطه حقه ،ولم ندرك كل أسراره ، كما أجدنى إذا حاولت شيئًا منه مبتعدًا عن الشعر الحر ، مائلاً إلى الكلام الموزون المقفى ، وأجدنى أعدل عن الأبحر الشائعة المطروقة إلى الأبحر غير الشائعة ، وأجدنى أحب القافية الواضحة الجلية غير الذلول وحبذا لو كان بها لزوم ما لا يلزم حتى تكون أكثر وضوحًا وجلاء ، وأحس الآن أن العبقرية فى

الفن تكمن فى الإبداع من خلال القواعد لا تحطيمها ، ومن هنا انصرفت نفسى عما يسمى «قصيدة النثر» وأرى أن التسمية ساعدت على الانصراف عنها ، فأصحابها يريدوننا على أن نتجرع شيئًا لا صلة له بما ألفنا أنه شعر على أنه شعر . ويذكرنى هذا بموقف فى فيلم «طاقية الإخفاء» إذ يُخرج الممثل القدير توفيق الدقن علبة كبريت ويسأل الممثل عبد المنعم إبراهيم عما فى العلبة ، ويرغمه على أن يقول إن الذى فيها فيل . هذا حال أصحاب قصيدة النثر معنا ، يريدون أن يرغمونا على أن هذا شعر . إن جزءا من تذوق أى عمل فنى معرفة قالبه ، ومطابقة هذا القالب ولو جزئيًا لما هو مصطلح عليه فى تاريخه . ولو نجح هؤلاء فى تسمية فنهم تسمية مستقلة على أنه ضرب جديد من ضروب الفن القولى لربما كان ذلك أدعى لقبوله وتذوقه .

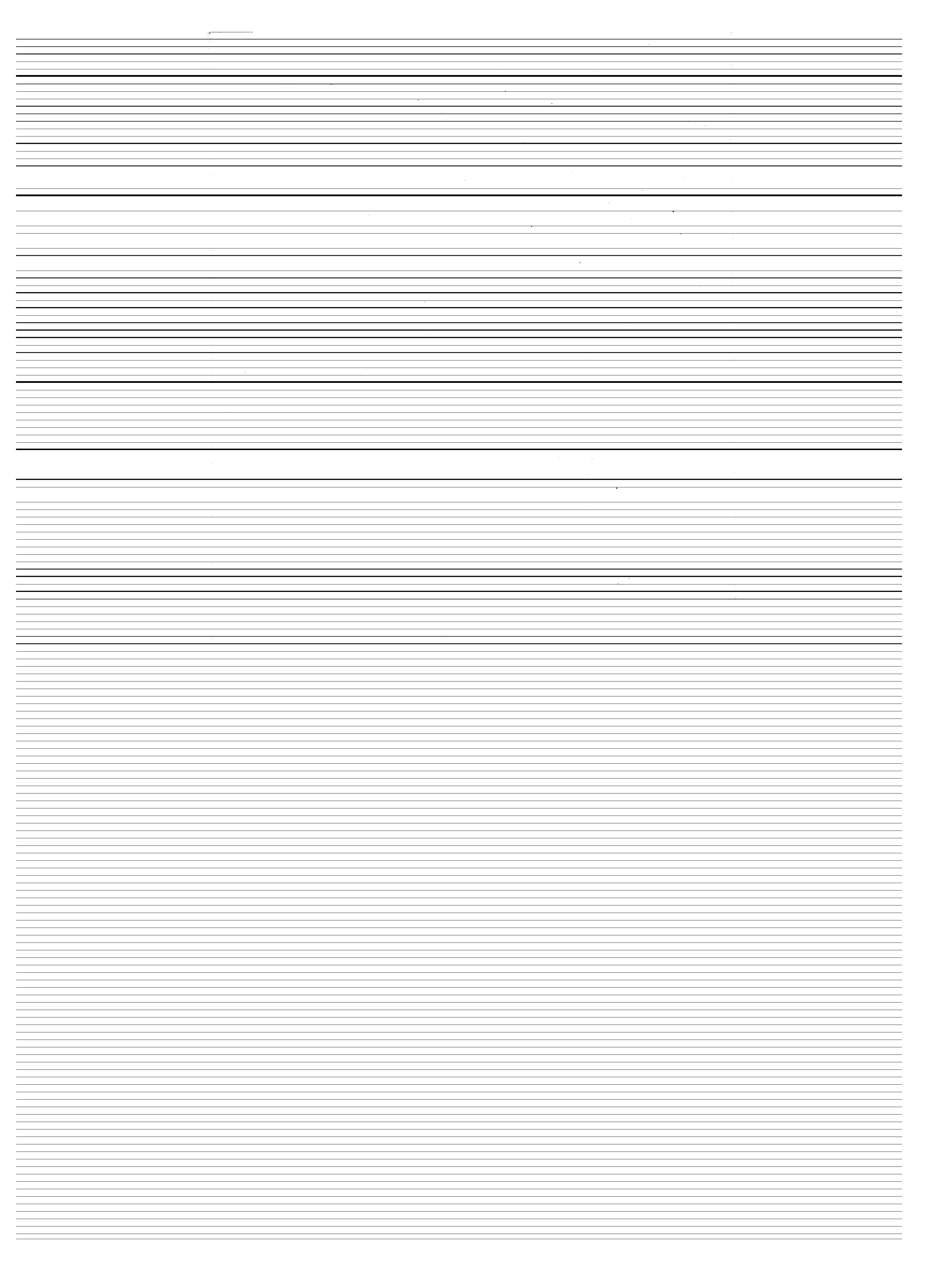
كنت - وأنا شاب صغير - أسمع القصيدة فيعترينى عند جزء منها ما يشبه القشعريرة تسرى فى جسمى كله ، فأدرك من فورى أن هذه قصيدة جيدة ، وكنت أسمع القصيدة فتحملنى بعض صورها إلى وادٍ غريب ، وتفجر بعض جملها دلالات جديدة فى نفسى ، فأدرك أن هذه قصيدة جيدة . وكنت أسمع القصيدة

فلا يعترينى شىء من هذا ولا ذاك ، فأتهم نفسى بأنى لم أحسن استقبالها ، وأعود إليها ، فإذا بى أحسّ فحسب أنها قعقعة لغوية وطنين أوزان فتنصرف عنها نفسى وأنا أرثى لصاحبها ، وكثيرًا ما أرثى لأولئك الذين يتمسحون بالشعر ولا يحققون منه شيئًا ، ويتأكد لدىَّ يومًا بعد يوم أن «الشعر صعب وطويل سلّمه» .

محمد حماسة عبد اللطيف

مساكن شيراتون مصر الجديدة فى ٢٠٠٤/٧/٢١


سنابـــل العمـــر



الهديـــة الأولــى

فتّشتُ كثيرًا في قلبي ..

عن كلمة حب أهديها لكْ

تستجدي شفتيكِ البسمةْ

تترقرق في روحكِ نسمةْ

تتعلق في هدبيكِ شعاعا من أمل نشوانْ

تسكب في طياتِ العمر حنانْ

تجعل من دربك دربي

لكنّي لم أجد الكلماتْ

ووجدتك أنتِ بقلبيِ

يا حبّى

لا أملك إلا أن أهديك القلبَ ..

بديلاً من كل الكلماتْ .

*

فى الطريق إلى حبيبتى

الدرب طويلٌ .. وأنا وحدى فوق الدرب إليك أسيرْ

والليلُ مُدًى .. وأنا أعتصر الليل رؤًى .. أنفاسَ عبيرْ

أستروِح فيها من ألمى .. من كدحى .. والأفْق هجيرْ

فأرى عينيكِ الباسمتينِ .. الوادعتينِ كقلبِ صغيرْ

بهما يُبْحر زورق أحلامى غيمان الشطآنِ .. غريرْ

وأنا الملاّح .. وأحبالى فوق الخدين سدولُ حريرْ

أتعلّق فيها .. أهرب من ألمى .. فأظلّ .. أظلّ قريرْ

فى واحةِ أحلامٍ بكرٍ .. فى دنيا بالحبّ تنير

حتى تدمى قدمى أشواكُ الدربِ النابح كالمسعورْ
والدرب طويلٌ .. وأنا وحدى فوق الدرب إليك أسير !

* * *

القلبُ قطاةٌ فى صدرى دامية الجرح تودّ تطيرْ
تخفِق . تخفِق فى جنبىَّ كما دق الأبواب أسيرْ
تحلم بالعشّ الجذلانِ على غصنٍ بالحب نضيرْ
نحيا فيه عصفورين يضمهما فى الليل سريرْ
تخضرّ به الأشواقُ .. تبرعمُ .. تثمر عطرًا وزهورْ

* * *

وأنا أجمع قَشّ العُشّ الموعودِ بمنقار مكسورْ
لكنّى لم أفتر .. لم أفتر .. سأظل أدورُ .. أدورْ
أبحث عن شط الأحلام الغافى تحت خيوط من نورْ
أبنى فيه العشّ الجذلان على غصن بالحب نضيرْ

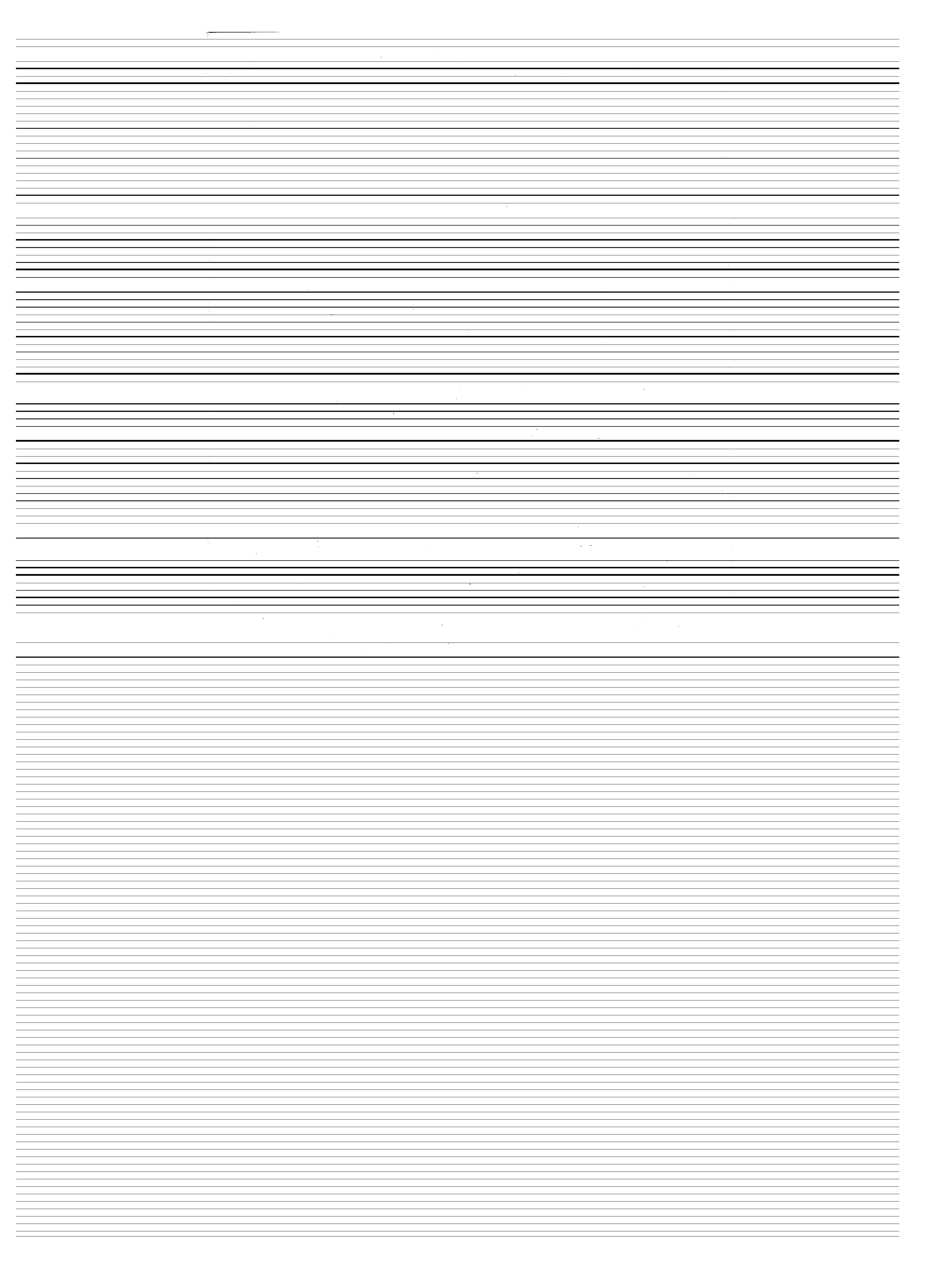
والقشّ قليلٌ .. لكن الحب بقلب العصفور كثيرْ

والحبُّ يدفّئ ما يَعْرى إن طار الريش عن العصفورْ

يا عمرى .. هل ترضَيْن الحب .. لعلّ مهاد الحب وثيرْ !

إن أنت رضيتِ الحبّ فإن الدربَ إلى عَيْنَيْكِ قصيرْ

*



مخـاوف قـرب الشاطـئ

ذات مساء من خمس سنينْ

ألقينا بسفينتنا من غير شراعٍ في بحر الحبّ

واستسلمنا للتيارْ

تدفعنا الريح الغضبى للموجِ الغصبانْ

فتعللنا بالأقدارْ

والرّيحُ العاتية تقولْ :

«ليس بجوفِ البحر حنانْ

ليس بجوفِ البحر حنانْ»

لم يجزع منا قلبْ

إن مرّ علينا ليل ضارٍ جاءَ نهارْ

فتنوَّرنا مرفأنا الغيمانْ

واستشرفنا ريح أمانْ

ومن التجديف الضائع كادتْ أذرعنا تنهارْ

لكنْ .. لم تذرفْ أعيننا دمعة يأسْ

بل غنينا للأملِ الوسنانِ فأيقظناهْ

ورمينا في وجه الموج الغاضبِ بالأحزانْ

وبإصرار الحب تحديناه

وجدلنا من أحلامِ العمر حبالاً لسفينتنا

وغزلنا من قلبيْنا أشرعة بيضاءْ

وبعنف الحب دفعناها فوق الماءْ

وبسحر الحب خدعنا الموجَ وداهنّا الأنْواءْ

وبنور الحب أضأنا الليل العاتي فأضاء

حتى ابتسم الشط النائى فعرفناه .

يا دنياى

ها نحن الآن على خطوات من شاطئنا المنشودْ

الريح تغارْ

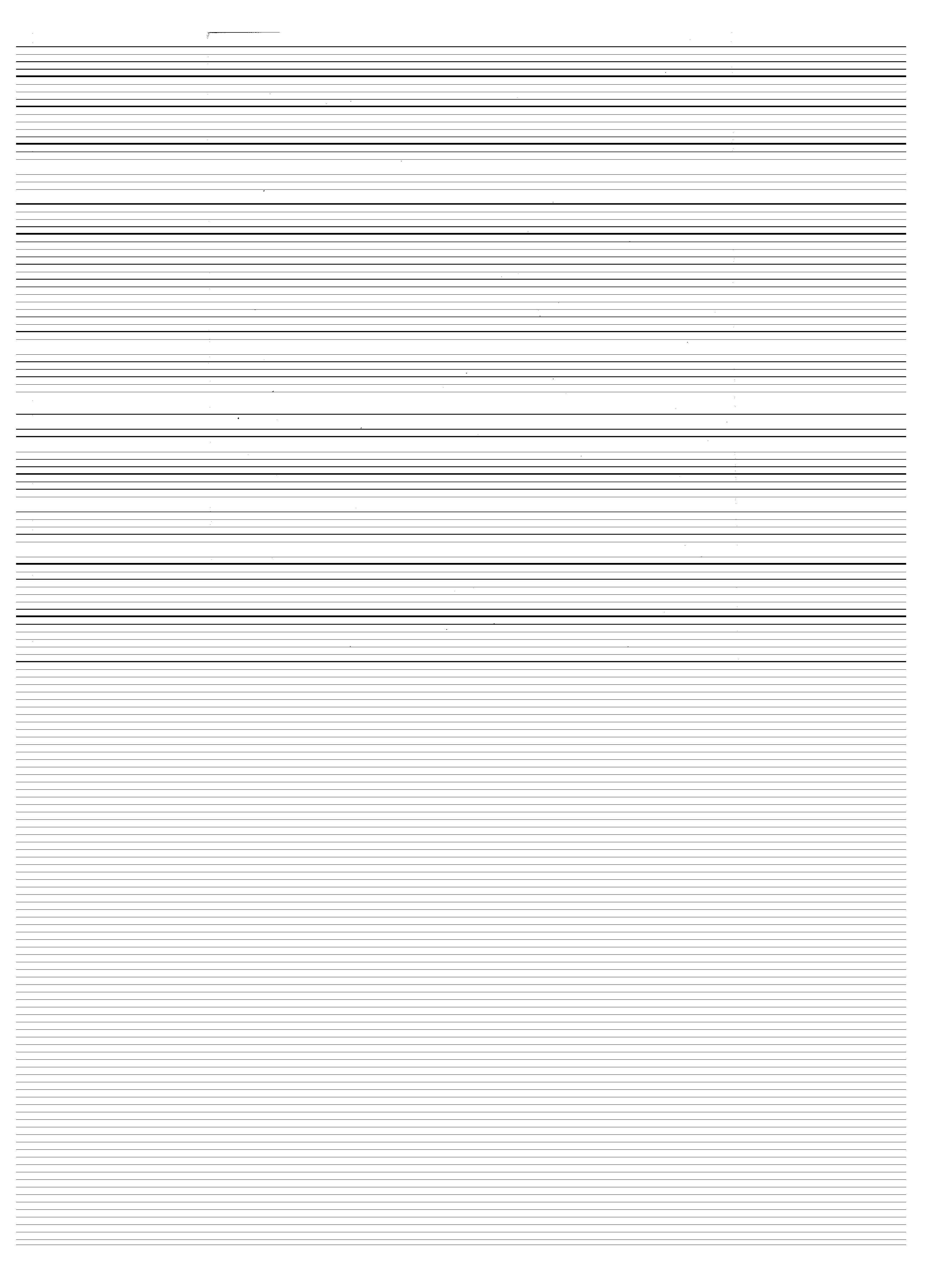
والموجُ يُثارْ

أخشى أن تطغى الريح علينا فنعودْ ..

كى نبدأ من حيث أتينا ذات مساءْ ..

من خمس سنينْ !

*



أيـن الكلمـة ؟

العين أمام العين
والكلمة خجْلى في الشفتين
الكلمة – يا دنياى – بصدرى تتكىء على حرفين
مسنونين
بينهما قلبى عصفور مذبوح يتألمْ
عيناك تقولان : تكلمْ
أو ما تدرين بأن مداد الكلمة دمّ
يا دنياى ..
قلبى محبرة الكلمات
لكنْ .. من لى بقلمْ ؟!

* * *

مهلاً . مهلاً

في عينيك عتاب أخضر : يا مجنون تكلمْ

أو ليس لديك سوى النّظرات ؟!

وأنا بالكلمة أحلمْ

أبحث عنها في الشفتين

لكن .. أين الكلمة .. أين ؟

هاتي كفيّك

فالكلمة ذابت في عينيك !

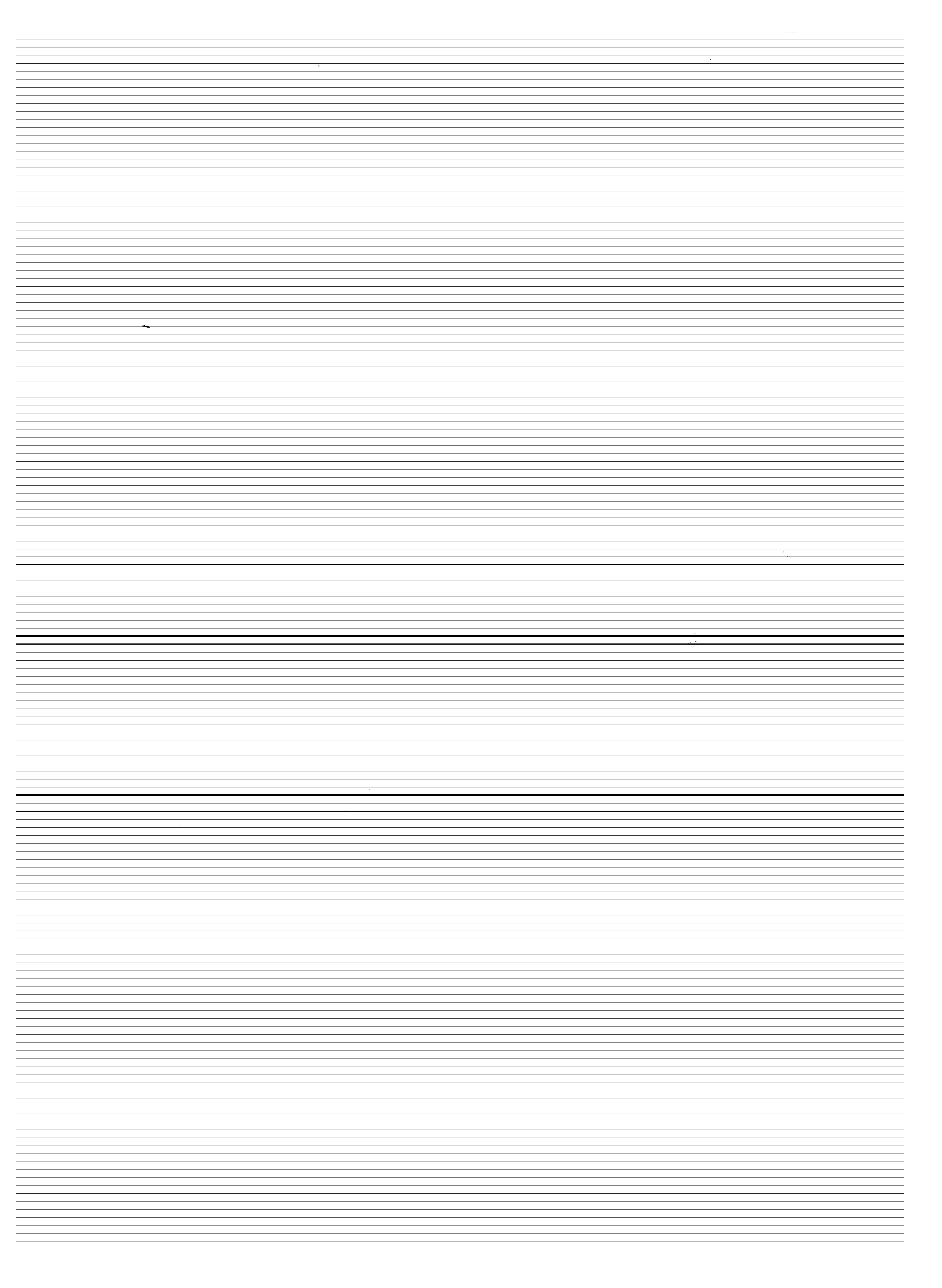
*

رسالة عتاب صغيرة

إليك – يا حبيبتي – رسالة حروفها رقيقة العتابْ
تخطّها إليك من مشاعرى .. ومن دمى .. أصابع العذابْ

* * *

طيفك – يا حبيبتى – فى خاطرى يفتح للحنين ألف بابْ
فكلّما نظرت فى الكتاب .. تقفزين بين أسطر الكتابْ
تعانقين ناظرىّ .. تشردين بى .. وتهربين للسحاب
فتجذبيننى لرحلة بعيدة المدى .. عسيرة الإيابْ
أظلّ خلف واحة الأحلام .. ظمآن الهوى وأنت كالسرابْ
أهتف باسمكِ الذى يعود لى صداه وهو مُشرع الحرابْ
يجرح صمت غرفتى . يرجع بى من رحلة الأطياف .. والعبابْ



ربما يرجع يوما .. !

«ربّمـــا يرجـــع يومًـا .. ربمـــــا»

واختفــت فـــى دمعهـــا المنسكـــبِ

يقطرُ المنديلُ فى راحتها .. قلبَها .. يا كمْ بهِ من لهبِ

أشعلتْه كلمةٌ جامحةٌ .. قالها فارسُها فى غضبِ

«لستِ لى ..» وارتعشت فى يده «دبلةٌ» .. قيدٌ صغيرٌ .. ذهبى

طوّحته كفّه محنقة .. آه يا كفَّ الخريفِ المُجْـــدِبِ !!

رنّتِ الدبلةُ فى الأرضِ فما رجَّعَتْ غيرَ صدًى مكتئبِ

لم يزلْ يهتفُ فى مسمعها :

«كلُّ هذَا كذبٌ . فى كذبِ !»

* * *

«ربما يرجعُ يومًا ..» وغفَتْ في بقايا حلمها المنسربِ
تقرأ الجدرانَ في غرفتِها .. كمْ بها من شاهدٍ .. لم يغبِ
«هذه صورتُنا .. نحن بها بيْنَ ربْواتِ المنى .. في لعبِ»
«تلك أُخْــــرى ..
آه يا راحته .. دفئُها .. يا دفْئَها .. لاتهربِ»
وعلى ثالثةٍ .. لم تَرَها .. صُوّرتْ منْ وهمها المضطربِ
رشقتْ عينينِ ما جُفّفتا .. إنّ بالمنديل بعضَ التعبِ
إنها صورةُ عُرسٍ يَزْدهي بالهوى الريّانِ بين الصَّخبِ
ها هنا الأمّ لها زغرودةٌ تشرح القلبَ .. ودعْواتُ الأبِ
والصديقاتُ .. وقد طوّقنها .. أعينٌ غيرى .. وهمسٌ لولبى !
صورةٌ تعشق في أبعادها كلّ لونٍ .. كلّ لونٍ طربِ
فجأةً .. تدخُلُ من شباكِها .. زوبعاتٌ في جنونِ الغضبِ
تنْزِع الصورةَ من مأمنها .. وتطير الحُلْم بين السحبِ

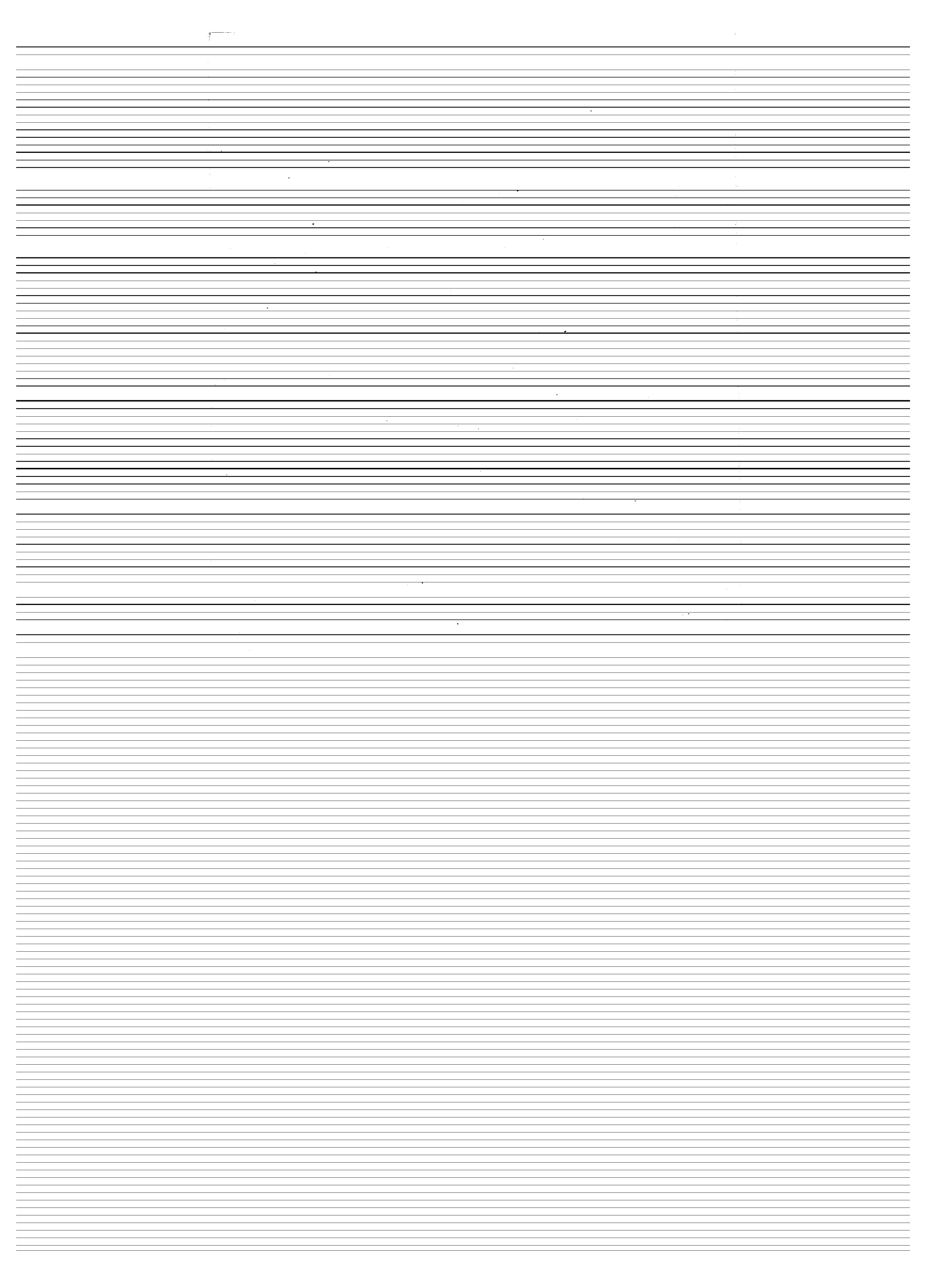
* * *

وإذا وقْعُ خطًى تعرفها .. أذنُها كانَتْ لها في سغبِ
يخطف القلبُ صداها خافِقًا .. ناسيًا ما شفّه من تعبِ
أسرعت للبابِ ..

«لوْ .. لوْ دقّه ! .. يا خطاه قربيه .. قرّبي»
«كي أرى من ثُقْبِ بابي وجهَهُ .. وشموخًا ضاربًا في الشهبِ»
«يا إلهي .. إنه يمضي .. أجلْ ! يغلقُ البابَ بوجهٍ مُغضَبِ»
«كيف يا جاري الذي أحببتُه .. تطأ الذكرى . ولم تستعتبِ»
«ربّمَا ترجع يومًا .. ربّما !»

واختفت في دمعها المنسكب
يقطرُ المنديلُ في راحتِها .. قلبَها ، يا كمْ به من لهب !!

*



لكننـا نسيــر

إلى متى سنفغرُ الأفواهْ

إلى متى لا تنطقُ الشفاه

إلى متى يضيعُ فى مسارِبِ الخيالْ

كلامُنا !

إلى متى يضلّ فى الطريقْ

– كأنه أعمى بلا رفيقْ –

سؤالنا !

ونفغرُ الأفواهْ

وتجمد الحروف !!

* * *

إلى متى نناصبُ الربيعْ

عداءنا

وننشد الخريف فى دعائنا

وننفث الدخان فى طريقنا

ونشعل اللهيب فوق دربنا الوديعْ

وتسكب الدماءَ والعرقْ

جباهنا

وقلبنا الذى يكاد يحترقْ

لنطفئ النيران فى الطريقْ ؟!

لكننا نسير لا نُفيق

تصافح الحياه

أكفنا الراعشة العجفاءْ

ووجهنا المخضوب بالدماء

وتخنق الحمامْ

أصابع الزيتونْ

ونحن سائرون نفغر الأفواهْ

يقول خطونا المخوف .. لا وقوفَ لا وقوفْ !

ويجبن الكلامْ

وتهربُ الحروفْ

* * *

إلى متى يظل لحمنا على الطريقْ

تدوسه أقدامنا الثقيلة الخطى

لأنها معصوبة من أثر الحروقْ

ولا نمدّ كفنا ولو إلى الخريفْ

لنأخذ الأوراق

أو الدم المراق !!

ونستر اللحوم بالأوراق والخضابْ

ونمنع الذباب والكلابْ

لكننا نسير

تبعثر الجراحُ كلَّ خطونا

وننفثُ الدخان فى طريقنا

وتنظرُ العيونُ للوراءِ والأمامْ

ونفغَر الأفواه

ويجمُد الكلام !

* * *

يا إخوتى ..

أقولها من قلبى البرئْ

– وخاطرى بحبكم يضئْ –

متى أرى الحمام فى غصونكم يشعشع المكان بالهديلْ

متى أرى الحروف فى شفاهكم مخضرة تهزأ بالذبولْ

متى أرى النجوم في جباهكم مضيئة لا تعرف الأفولْ

لكنما النجوم فى السماءْ

ودونها مخاوفُ المساءْ

فكلكم في حاجةٍ لسلم العروج

وقبضةٍ من الضياء !

* * *

يا إخوتي ..

لسوف تزعمون أنني مخاطر جرئ

لكن خاطري بحبكم يضئ

لو تكشفون عن قلوبكم !

وتفتحون للهوى صدوركم !

لسوف تصعدون للسماء

هناك تعلق النجوم في جباهكم

هناك تخضرّ الحروف في شفاهكم

تقبلون بعضكم

يعانق الربيع أرضكم

وتبرد النيران فى طريقكم

فتنزلون .. تقرأون آية السلام

وتعرف القلوب والشفاه الابتسام

وترقص الحروف فى الكلام

يا إخوتى .. لو تفعلون !

لكننا نسير !

تبعثر الجراح كل خطونا

وننفث الدخان فى طريقنا

وتنظر العيون للوراء والأمام

ونفغر الأفواه

ويجمد الكلام .

*

أنين الذكريات

كلما أطفأتُ في قلبي ضراما

عادت الذكرى فأذكته غراما

وسقته الدمعَ نارا وهياما

حرت في الذكرى وفي قلبي الحزينْ !

* * *

كلما - يا قلبُ - كفكفتُ الدموعْ

أشعلتْ ذكراكَ في الروحِ الشموعْ

وأسالتها حنينا في الضلوعْ

أكذا يا قلب تسكاب الحنينْ ؟

* * *

كـلـمّـا هـدهـدتُ بـالسـلـوان نـفـسـى
وتـنـاسـيـتُ الـذى يـحـكـيـه أمسـى
عـدتَ فـى جـنـبـى مـطـراقـا بـفـأس
وسفحت الشوق مجروح الأنينْ !

* * *

أمسِـيَ الـذاوى بـه حـلـمٌ شـهـيـدْ
صـاغـه الـوهـم رفـيـقًـا مـن وعـودْ
هـل أعـيـشُ الـيـوم فـى الأمس الشّـريـدْ
ويظل الأمسُ فى عمرى سنين !

* * *

فـى ظـلالِ الأمس قـد ذقت الـعـذابْ
وشـربتُ الـوهـمَ مِـن كـأس الـسـرابْ
حـيـن رفّ الـحبّ يـومًـا ثـم غـابْ
في ضباب الهجر فى لفْح الظنون

* * *

إنّــــنــــى – يـــا قـــلبُ – قـــد صـــرتُ هشـــيـــمـــا

عـــيـــنُـــهـــا الـــخضـــراءُ أصـــلـــتـــه جـــحـــيـــمـــا

لـــم أجـــد – يـــا قـــلبُ – لـــى مـــنـــهـــا رحـــيـــمـــا

آهِ منها .. آهِ يا قلبى الحزين !

* * *

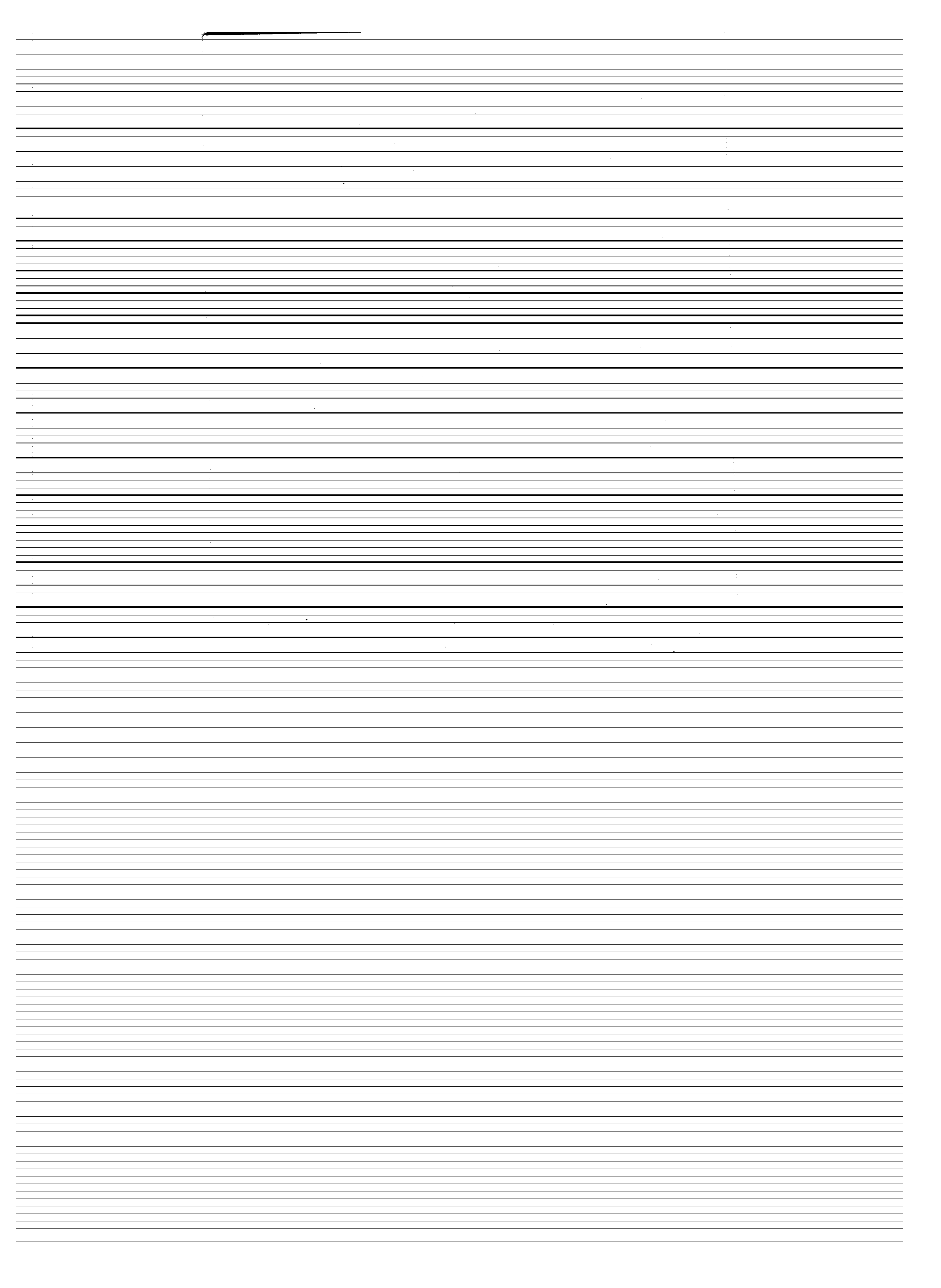
أيـــن يـــا قـــلـــبـــى أمـــانٍ ضـــاحـــكـــات

وعـــهـــودٌ أبـــرمـــتـــهـــا الـــنـــظـــرات

هـــل تـــولت .. فـــاعصـــفـــى يـــا ذكـــريـــات

واحفرى فى القلبِ ما قَد تحفرين !

*



الـــذى لــن يعـــود

لمْ يعد يوسف فى الجبّ فلا تنتظريهْ

غاله الذّئبُ الذى كنْتُ أخافُهْ

غالَه منكِ الّذى حذرتُ مِنْه فانْدُبِيهْ !

واسألى هذا «القميصْ»

اسأليهِ !

دَمُه الطاهرُ هذا .. فاسأليه !

لا تقولى إنه كذب رخيص

فعلى كفّيكِ سال الدّمُ سَالْ

قبل أن يأكله الذئبُ على صدرك مَالْ

لم تبالي ذلك القلبَ الصغيرْ
يوم أدليتِ بدلوكْ
آهِ .. يا ليتك لمْ تُدْلى بدَلْوِكْ .

* * *

يوسف المحبوب لم يرتعْ ولم يلعبْ كما كان يريدْ
كم تمنّى قلب يعقوبَ المدمّى لو يعودْ
قلبُ يعقوبَ أملّته الأماني والوعودْ
عينُه ابيضّتْ من الحزن ولكنْ .. لَنْ يعودْ
إنه يذكر حلما
قد رآه طفله المحبوبُ يوما
يومَها أوصاه : «لا تقصصْ لغيري رؤيتَكْ
فيكيدوا لك كيدا»

* * *

يوسف المسكين ماتْ
حين ذاع السر ماتْ
لا تظنّي أنه بعد سنينٍ سيعودْ
حاملا في كفه البيضاءِ خصبَ السنبلاتْ
انفُضي عن قلبكِ الغافي ترابَ الغفلاتْ
يوسف المسكين مات !!

*

السيـف الآخـــر

هذى الكلمات ..

«إنى أهواك .. أحبك

أتمنى .. أن يعرف حبى قلبُك

أستشعر دفء الكلمة .. فى شفتيك

وتهيم أمانىّ وأحلامى .. فى عينيك

ترتاد ظلالا خضراء .. فتغفو فى جفنيك»

.. كلمات فقدت معناها !

لم يبق بها .. غير حروف ترتعش من البرد القارس

تتدثر فى أثواب خداع .. تنسجها عيناك الكاذبتان

كم مزقها سيف الفارسْ !!

ماذا يجدى حد السيف بصخر الزيف ؟!

لكنّ السيف تثلَّمْ !!

ما عاد لهذا الفارس أن يتكلمْ

أو يتألمْ !!

فالفارس ينضو سيفا آخر

لكنْ .. ليس لأثواب خداعك

– أثواب خداعك لن تتمزّق –

بل ليشق به – فى رفق – عن قلب .. بكر .. طاهر

يحبو فى درب الحب

يتلمس دفء الكلمات .

*

أغنيــة لوطنــى

يا منبع دفئى الحانى .. يا وطنى

يا صدرا ممتلئ الثديين بأشهى لبنٍ

يرضعنى .. يحضننى .. ينضو عنى حزنى

وطنى .. يا فجرًا مزق وجه الظلمه

يا قلبا ينبض فى كلمه

كلمة حب تهمسها شفتا صب

صب عملاق أسمر

السمرة فيه نضح كفاحٍ مر

أورق منه فى العيدانِ النصر

وطنى ..

يا بيدر أحلام بيضاء انطلقت مع ضوء الفجر

تنشر أجنحة النور .. وتخفق فى شهقة صدر

وطنى .. يا أبراج حمام

تمتد .. تعانق كل غمامات الأيام

تهدى للدنيا مع كل غمامه

ألف حمامه ..

* * *

وطنى : قلبى .. عرقى .. أغلى ما أملكْ

ماذا – يا وطنى – لو فرشت كفك قلبى مهدًا فى ظلكْ

يرتاح عليه من يعصر زَنْديه طعامًا من أجلك

ماذا – يا وطنى – لو رشَّتْ عرقى كفُّ الشمس على رملك

لا .. لو دفقته يجرى .. يجرى من حولك

فيض جداول

حتى تنبت حبة قمح سبع سنابلْ

تخضرّ .. توشوشها الريح .. تغنى فى الكف مناجلْ

فأرى سنبل كدحى فى الأفواه لقيماتٍ حلوه

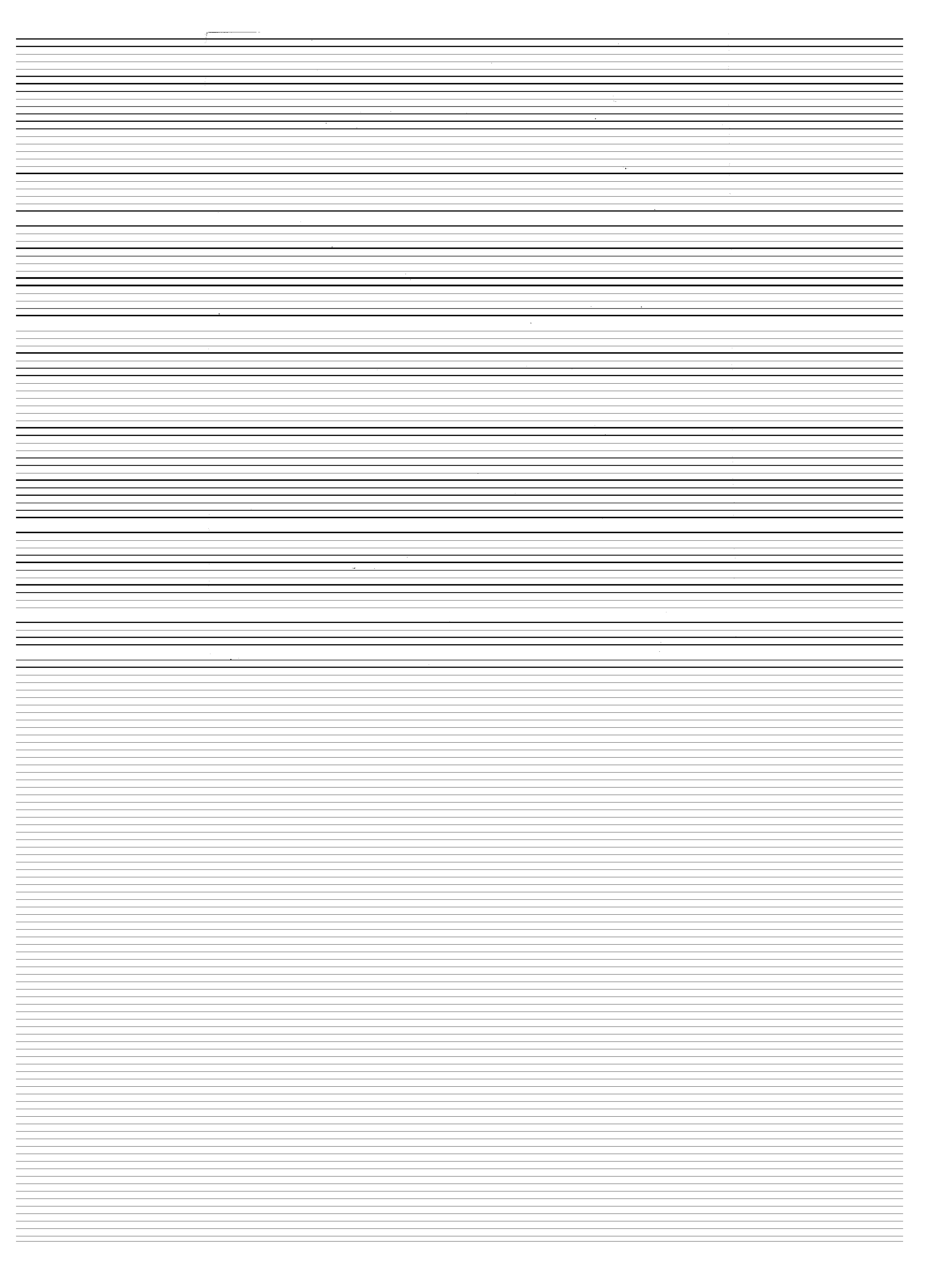
يا للنشوه !

عندئذ – يا منبع دفئى الحانى

يا نبض القوة فى وجدانى

يا وطنى – تهدينى أنت الغنوه

*



حكايـــة مـــع الليـــل

ضمه الليلُ .. لوعةً ، وعذابا وحنينا .. مؤرَّقا .. واغترابا

يُغْوِل الصمتُ فى أساه .. وتبكى أمنياتٌ .. تطايرتْ أسرابا

أظلمتْ نفسُه كما أظلمَ الليلُ .. فراحتْ كالبحر .. هاجتْ عُبابا

شاطئاه الضلوعُ .. بالضلوعِ هدَّها الموجُ .. ثورةً ، واضطرابا

يغتلى بالأسى .. فيرمى شُواظًا يتراءى على الجبين اكتئابا

فَهْو حينًا .. يمورُ من وهجِ الحزنِ .. وحينًا يقضّمَ الأنيابا

«آه يا ليلُ !»

زفرةٌ كان يلقيها .. فتسرى إلى الزمان عتابا

ولَدَى بابِ خيمةٍ .. قد تداعى يرمقُ الأفقَ .. ظلمةً وعذابا

فينوحُ المجهولُ في جانبيهِ .. ويناديه فجْرُه .. لهَّابا

والظلامُ العربيدُ في الأفْقِ .. عاتٍ .. لا يرى فيه من أساهُ .. شِهابا

والفَضَاءُ الرهيبُ .. يَعْوِى حواليْه .. ضَيَاعًا ، وغربةً ، ويبابا

والرّياحُ .. الرّياحُ .. تَعْبَثُ بالخَيْمةِ هُزْءًا .. فتنزعُ الأطْنَابا

والصغارُ الجياعُ في داخل الخيْمةِ .. بؤسٌ لم يعرفِ الجلبابا

فالخريفُ العريانُ .. يأكلُ ما قَدْ قدّمته يدُ الربيع .. سحابا

ضمه الليل هكذا .. زفراتٍ تملأ الليل .. أنةً وانتحابا

«آه يا ليل !»

قَالها .. وتنزّتْ ذكرياتٌ .. على الجبين .. ضبابا

غام فيه الأسى .. وأشرق أمسٌ عاش فيه انطلاقةً وشبابا

وتمطّى في صدره الحُلُم الغافي .. وجلّى عن اللهيب .. ترابا

فاشرأب الحنينُ فيه لمغْنًى .. صبَّ فيه الهوى له .. أكوابا

وتـوالتْ أيـامـه ذكـريـاتٍ تـتـراءى لـنـاظـريْـهِ .. سـرابـا

«ها هنا كان ملعبي .. ورفاقي .. كمْ شربنا الأيام صفوًا مذابا»

«هذه نخلتي .. وتلك كرومي .. آه يا كم سقيتُها .. مطرابا !»

«وانتظرت الحصاد .. لكنّ ليلى بعثر الأهل فى العراء .. قبابا»

وتلوّى الصغار من قسوة الجوع .. فألقَوْا على رؤاه .. حجابا

فرأى ليلة الأسىّ .. صغارًا يتضاغَوْنَ .. حسرةً ، واغترابا

وديارًا .. قضى الصِّبَا فى مجاليها .. تناديه أن يحثَّ الركابا

«آه يا ليل !»

قـالـهـا .. فـاستـثـارت فـى حـنـايـاه .. مـاردًا غـلاَّبـا

راح يهوى على الظلام بكفَّيْهِ .. ويَفْرى عن الصباح إهابا

يستردُّ الديارَ من قبضةِ البَغْىِ .. ويجتاحُ بالعذابِ الذئابا

«يا صباحى المأمول فى ساح دارى .. يا حقول الكروم ضمى الصحابا»

«يا صغارى ..»

سرتْ صراخًا مغيظًا .. يعصرُ الليلَ .. رهبةً وارتيابا

فاكفهرَّ الدُّجى . ومدَّ يدَ الغدْرِ فلم تُبق صوتَه الصخَّابا !

غير أن الصباح أشرقَ حلوًا دَقَّ كلَّ الأبوابِ بابًا فبابا

«يا صغارى

غدا تعيشون يوما ضاحك الوجه»

قالها ثم غابا

واحتواه الشروق .. والدم يجرى دافقًا من حشاه يروى الترابا

*

عندما يجئ الفارس

على الطريقْ ..

هناك عند مسجد عتيقْ

بغير مئذنه

ما رجّعتْ جدرانه الأصداءَ من أعوامْ

وفي المساءْ

يرتاح عبْر بابه الظلامْ .

على الطريقْ ..

– أقولها بلهفة الغريقْ –

هناك قرْبَ مزرعه

أشجارها .. أوراقها مفزّعه

ثمارها منتزعه

طيورها مروعه

ما ردّدَت فى مطلع الصبّاحْ

غير نشيد الدّم والجراحْ

يلمعُ فى المناقر الحمراءْ

أوّاه يا رائحة الدّماءْ !!

أوّاه يا رائحة الدماء !!

على الطريقْ ..

أجسامهم يُصْنَعُ من جلودها الطبولْ

يدقّ فوقها بأرجل الخيولْ

أشلاؤهم مبعثره

أشلاؤهم دمى مكسّره

أنقاض مقبره ..

تهدّمت من زمنٍ قديمْ

ونبشوا من جوفها الرميمْ .

أشلاؤهم مبعثره

كأغنيات عازف حزينْ

تحطم القيثار فى كفّيه

وضاعت اللحون من أصابعه .

أشلاؤهم على الجسورْ

تحوم فوقها الطيورْ

البومُ .. والغربانُ .. والصقورْ

تنهشها الذئاب فى المساءْ

وتلغ الكلابُ فى الدّماءْ

وتصرخ الأشلاءْ !

يا ربما يكون بينها صبى

أرهف سمعه البرئ نحو جدّه التقىّ

وقال : «يا جدّاه .. قص لى حكاية المساء»

فقال جدّه الكبير : «وحد الإله يا بنيّ ..

صلّ على النبيّ ..

قد كان – يا ما كان – فارسٌ أميرْ ..»

وداعب النعاس عينى الصغيرْ

ودوّمتْ فى الأفق صرخة النذيرْ

فارتعدتْ حروف قصة الأمير

وفزّع الصغير والكبير

وجأر العجوز بالدعاءْ

وانطفأت في وجهه ابتسامة الضياءْ

وحجبت دعاءه المذعورْ

البومُ .. والغربانُ .. والصقورْ

أوّاه يا رائحةَ الدماءْ !!

تصرخ فى المناقر الحمراءْ

تهيب بالأشلاء

بكلمتين تلهبان شعلة الضياءْ

تمرّدى أيتها الأشلاءْ

تمرّدى أيتها الأشلاءْ

تمرّدى على القبورْ

هناك فى الطريق فارس غيورْ

فى دمه حَمِيَّةٌ تفورْ

وغضبةٌ تثورْ

يجىء ثائرًا .. بساعِدَىْ هرقلْ

يذود عنك هذه الذئابَ .. والغربانَ .. والصقورْ

تمرّدى على القبورْ

خطواتُه تخضرُّ من آثارها الربوعْ

كأنه الربيعْ .

وعندما يجئ تستريح فى مغارة الضلوعْ

«أغنية الرجوعْ»

وتهدأ الأوراق فى الفروعْ

وتكثر الثمار فى الزروعْ

ويُفْرِخُ الحمام فوق أغصن الزيتونْ

أفراخه البيضاء – بعدُ – لن تضيعْ

سيبعث الحياة فى الأشلاءْ

لُيكملَ العجوز قصة الأميرْ

للفارس الصغيرْ

ليعلوَ الأذان للسماءْ

والدّعوات المؤمنه

تنسابَ فوق مئذنه

تصافح الفضاءْ

تقام فوق مسجد عتيقْ

– يا طالما قد ضللوا لبابه الطريقْ –

يودّ لو يعانق الأصداءْ

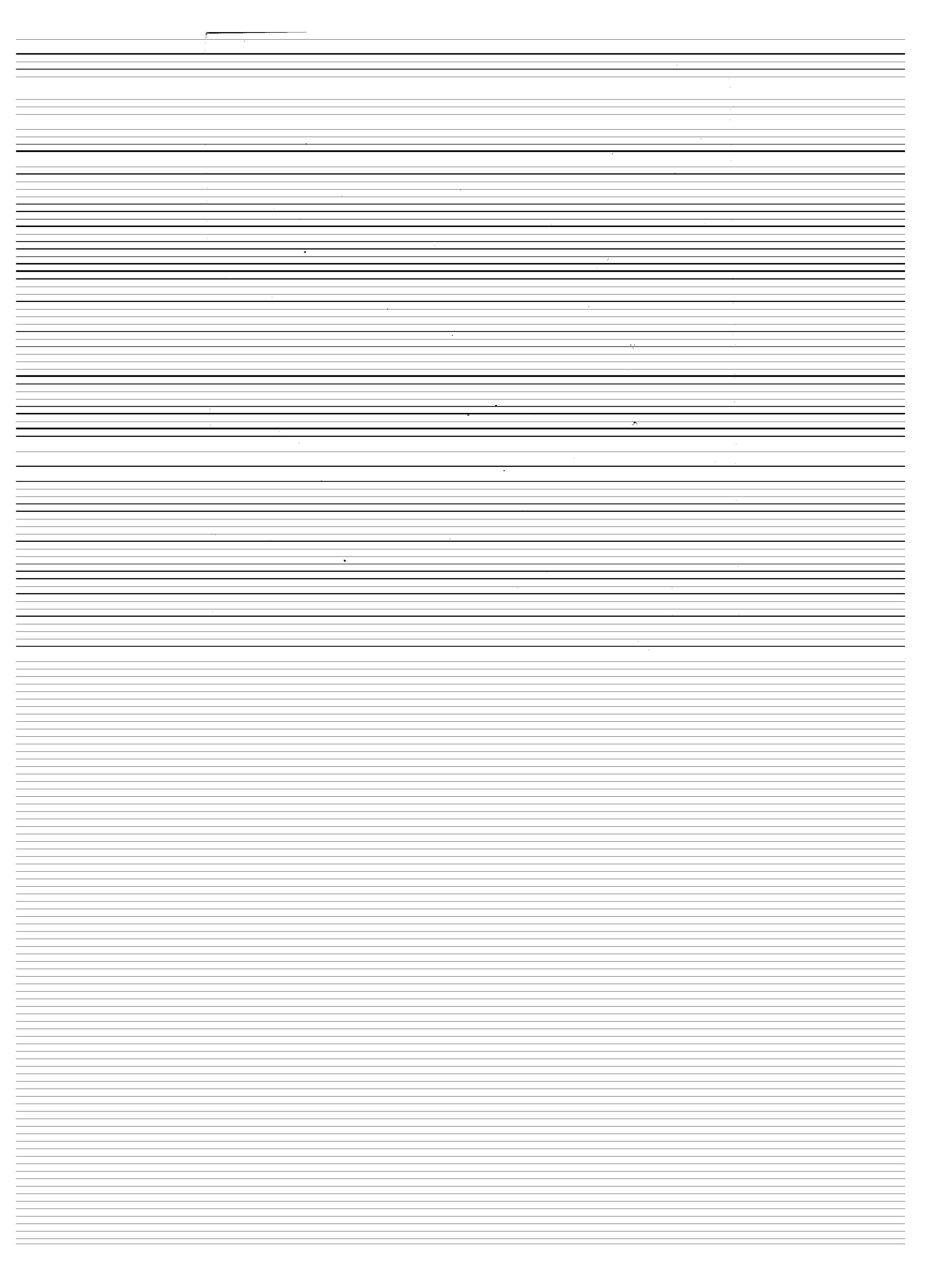
لو يشعل المصباح فيه في المساءْ !

* * *

يا فارس الضياءْ

متى تجئ ناشرًا قلاعَ فجرك البيضاءْ !

*



إشـارات الحجـارة

إنَّـهـم يَـرْهَـبُـونَ الـحِـجَـارةَ مَـهْـمـا عَـلَـتْ نَـارُهـمْ . ولِـكـلٍّ حـجـرْ

فَـارْجُـمـوهـمْ ، وَلاَ تَـرْهَـبُـوا نَـارَهُـمْ ، فَـحِـجَـارتُـكُـمْ لَـهبٌ مُـسْـتَـعِـر

الـطُّـيـورُ الأَبَـابِـيـلُ قـد أُطْـلِـقَـتْ ، إنّ كـفّ الـحـجـارة كـفُّ الـقَـدَرْ

إنّـهـم يَـفْـهـمُـون الإشـارةَ إذْ تـسـقـط الأرض مـن فـوقـهـم كـالـشَّـرَرْ

أَرْضُـنَـا انْـتـفـضـتْ تَـلْـفِـظُ الـمـعْـتَـديـنَ ، ولَـنْ تَـعْـرِفَ الأرضُ بـعـدُ الـحـذرْ

الـحـجـارةُ تُـخْـبِـرهـم أنَّـهـم غَـاصـبـون ، ولَـيْـس لَـهْـم مُـسـتـقـرّ

الـرَّصـاص بـأيـديـهـمُ ، والـحـجـارةُ مِـنْ أَرْضِـنَـا وَهْـى لَـنْ تَـسْـتَـقِـرّ

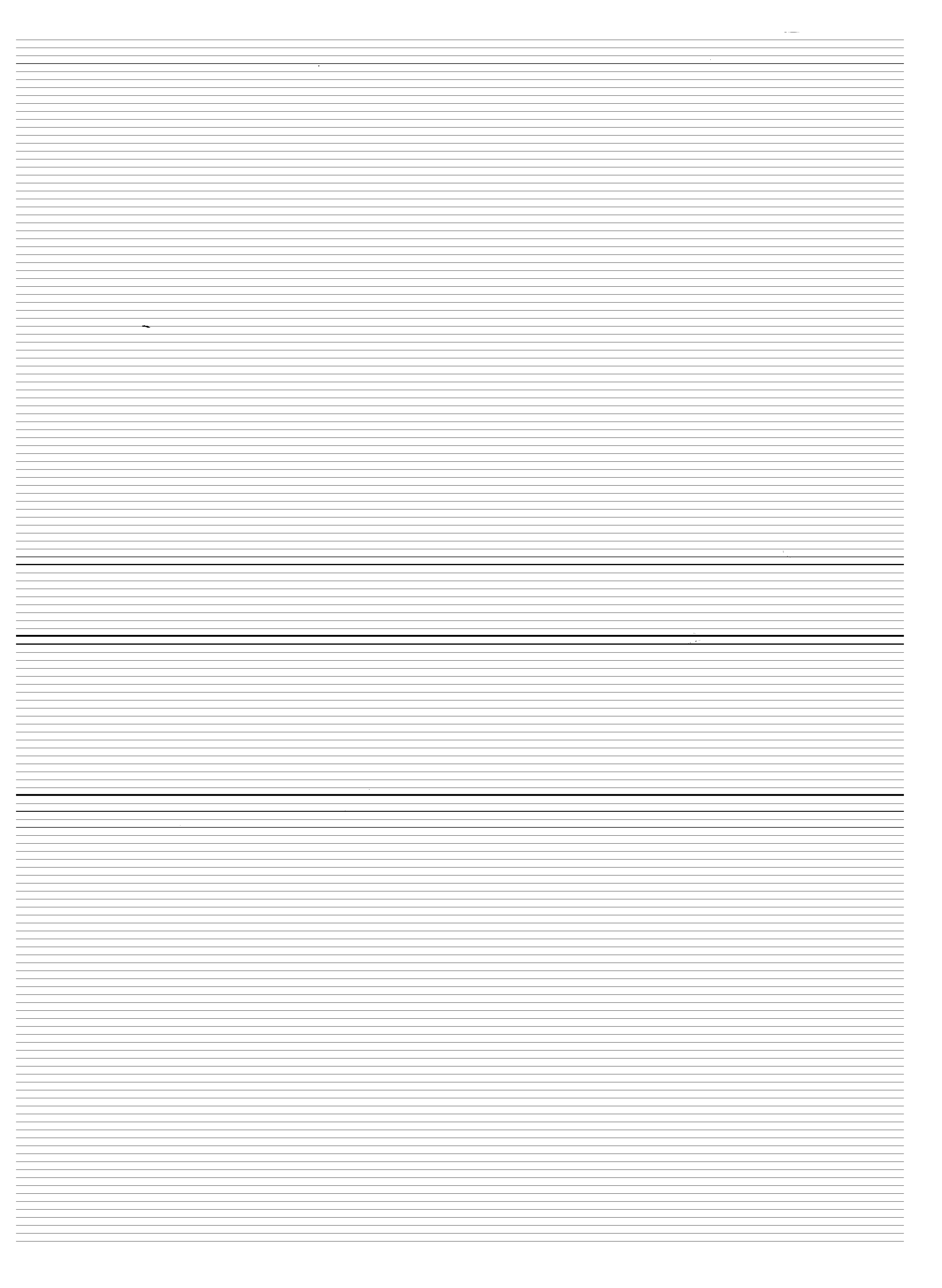
سَـوْفَ نَـنْـزِعُ مـن تَـحْـتِـهِـمْ أرضَـنـا حَـجـرًا حَـجـرًا ، ليس مِـنْ ذَا مَـفَـرّ

دَمُ أَطْفَالِنا يَغْسِلُ الأَرْضَ مِنْ رجسهمْ ، دَمُ أَطْفَالِنا المُنْتَصِرْ

إنْ يكن «درة» راح من بطشهم ، كلّ أبنائنا للفداء «دُرَرْ»

قَدْ وُلِدْنا لِهَذا ، فَلَيْس لَنَا مِنْ حَياةٍ إذَا لم نُلَبِّ الخطر

*



القدر الرابض فى العجلات كثيرًا ما يلهو
والموّال النابضُ بالأحزانِ على الشفتين
تتمطى كلماتٌ فيه تنادى الليلَ تنادى العين
تتلوّى فيه الذكرى .. آهٍ آه
ياالله ..
مِن أعوام ..
جاءتْه البشرى بغلام
دارت مثلَ العجلاتِ الأيام
يوم حلوٌ يوم مرّ
يوم خصبٌ يوم محل
صار البيتُ خليّةَ نحل
البيت .. البيت .. البيت !
سئم الأولاد طعام الزيت
«لعن الله الأزمات»
دار الرأس مع العجلات
وانتفض على فزع صوت
«احذر ..

احذر »

واحترقت . صرخات !

ياالله !

ماتتْ فى الموّال النغمة

دُفِنَت فى الشفتين الكلمة

واجتمعوا

خرست ألسنُهم .. دمعُوا

رجعوا .. والحسرات

تقطر من أوجههم عرقا ..

قالوا مات !

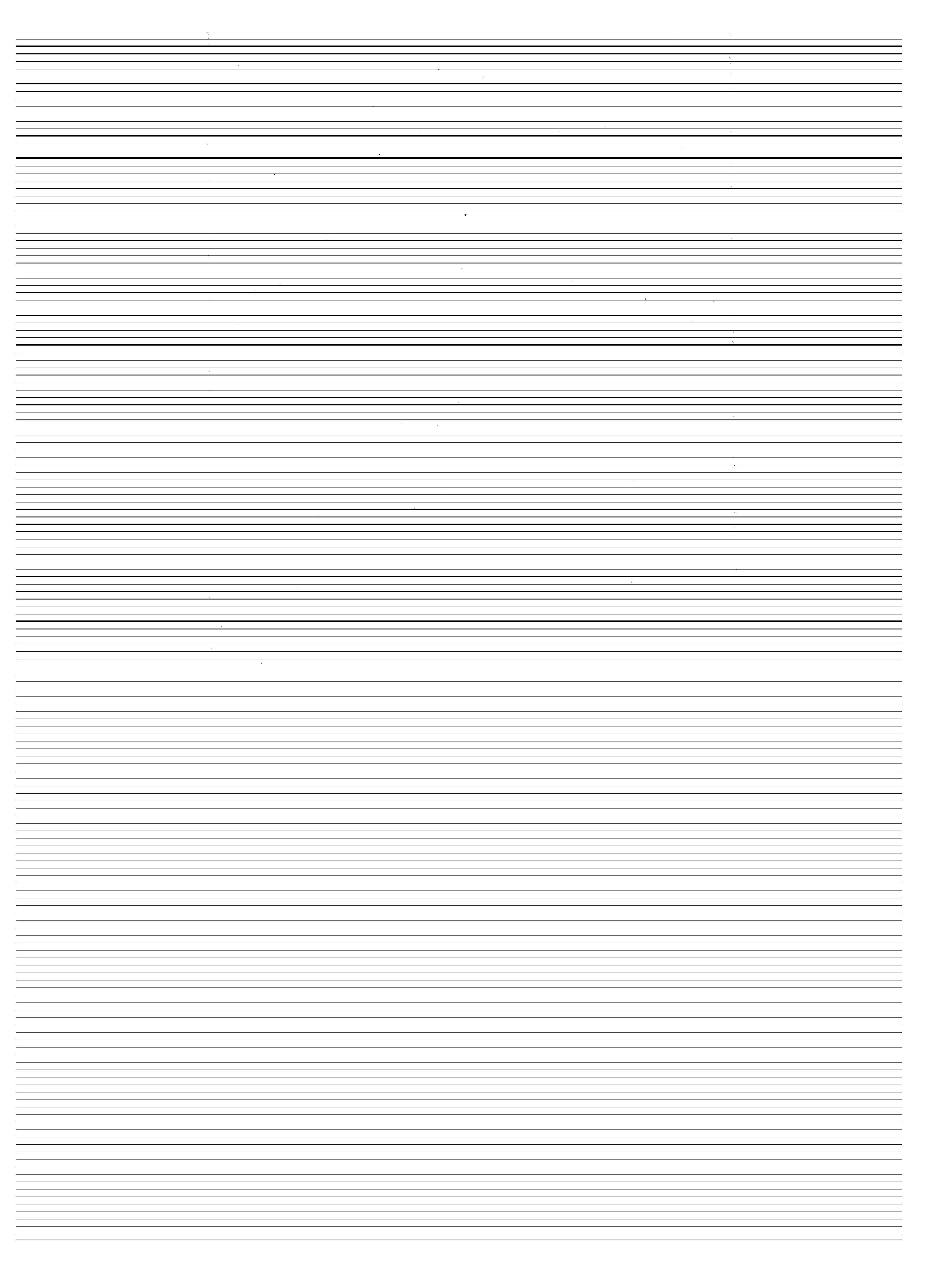
والأيدى امتدت للتنّور ..

والعجلاتُ تدورُ .. تدور

واللقمة حَمقى والعيش صراع

كلمات فى الصّدرِ تمُور .

❋



بحيـرة الدمـوع

عيناكِ يا حبيبتى بحيرتا دموعْ
تجوب فيهما سفينتى رؤًى مشدودةَ القلوعْ
تحملنى لعالمٍ عبرته منذ زمنْ
وقلتُ : لا رجوع لا رجوع !
ويومَها – لا تذكريه فالهوى يحنّ
وقلبىَ الجريح لم يزل يئن –
ويومها .. خرجتُ زائغَ الخطى
ومعطفى القديم فوق كتفِى
مضيت لا تحملنى ساقاى يا حبيبتى
تمتدُّ فى خطوهما الشوارعُ العرجاءُ ، يلتوى الطريقْ
لكننى لم أقفِ

واليومَ .. هل يعيدني البكاءْ !

لا تطيلي البكاء.. لا .. لا تطيلي   أنتِ خلَّفتني لليلٍ ثقيلِ

لم أعد بعده يهدهدني الدمع ولا يعرف البكاءُ سبيلي

الوعودُ البيضاءُ .. والأملُ الحلوُ .. وما قلتِه .. وما لَم تقولي

والعيونُ التي شربت رضاها نظراتٍ من الهوى المعسولِ

لم تعد غير ذكرياتٍ هزيلاتٍ يرفرفن في فؤادٍ هزيلِ

* * *

كان بين الضلوع نهر وديع   صفوه يحتسيه صفو الأصيلِ

تتنادى الطيور في شاطئيه   وَتُجيب النخيل بالترتيلِ

زورقي فيه سابحٌ في أمانٍ   يتغنَّى .. حمامة في خميلِ

أنتِ .. حوَّلتِه إلى صخبٍ يهدرُ موجًا كعادياتِ الخيولِ

عاصفًا .. عاصفًا تدمدم فيه السافيات الغضاب دقَّ طبولِ

ثم خلّفتِني وقد نزح القلبُ فمالي لردّه من سبيلِ

فاستريحي .. وهدهدي الدّمعَ إني ليس يشفي البكاءُ بعض غليلي !

* * *

ابتسامة باهتة

لأنني أخافُ أن أنهارَ في مجالسِ السمّار

أنتزع ابتسامةً باهتة الألوانِ ضحلةَ القرار

من وجهي المنسوجِ من عناكب الغبار

أشد كل كلمة أقولها من صخرةٍ مشدودةٍ إلى جدار

أُلقي بها موءودةً ، جوابُها ازورار .

أنظرُ في الوجوهِ خلسةً .. فأقرأُ الأنظار

النّظراتُ في العيونِ عار

النظرات في العيون عار !!

«الفارسُ الذى انهزم ..

هذا الذى كا له وكانْ

اليومَ لم يعد له هنا مكان»

وتعبر الوجوهَ بعدها سحابة رقيقة من النَّدَم

تدوسنى ألف قدَم

سنابك الخيل ودقات الطبول

دوامةٌ .. دوامة وألفُ غول

سحابة ثقيلة من الألَم

تمطر فوق صدرىَ الحزينِ ألف ليتنى وليتنى

فتنبتُ الظنونَ والأشواكَ .. لا تنِى

لكنّنى .. أقطعُها أقتلها لأنّنى ..

أخاف أن أنهار فى مجالس السمار !

*

الوجوه الكثيرة العيون

- ١ -

رأيتهم هناك .. مشدودين .. مسنوني المقلْ

لو ينظرون للزهور في الربيع .. تشتعلْ

وجوههم كثيرة العيون .. دائما تُطل

تطفيء كل بسمة مضيئة بألفِ ظل

تخنق كل نظرة بريئة إلى أملْ

ترجم كل شفة ممدودة إلى القبلْ

تغلّ كل كلمة دفيئة .. بألف غُل

ولا تملّ أن تبعثر الدموع .. لا تملّ

– ٢ –

عيونُهم – يا إخوتي – لخاطري مُدًى .. مُدى
تطعن في فؤادىَ الأحلامَ .. تسقيها ردى
تُطير من قلبي الحمامَ كلما تهدهدا
تشدني إلى التراب .. حيث جففوا الندى
«قابيل» والغراب يحفران فيه مرقدا
ألا ترون شاعرًا يموت !
كفنه خيوط عنكبوت !!
يا إخوتي .. ألا تمدون لملهوف يدا ؟
أهكذا يختنق النداء دونما صدى ؟!

– ٣ –

لكنني – برغمهم – أرسلها مضيئه :
لو رقرقوا قلوبهم جداولا مليئه
وحرقوا من كهفها العناكب الخبيئه

لـــو أرســـلـــوا عـــيـــونـــهـــم بـــنـــظـــرةٍ بـــريـــئـــه

لـــو حـــركـــوا شـــفـــاهـــهـــم بـــكـــلـــمـــةٍ دفـــيـــئـــه

لـــو ضـــوّأوا وجـــوهَـــهـــمُ بـــبـــســـمـــةٍ مضـــيـــئـــه

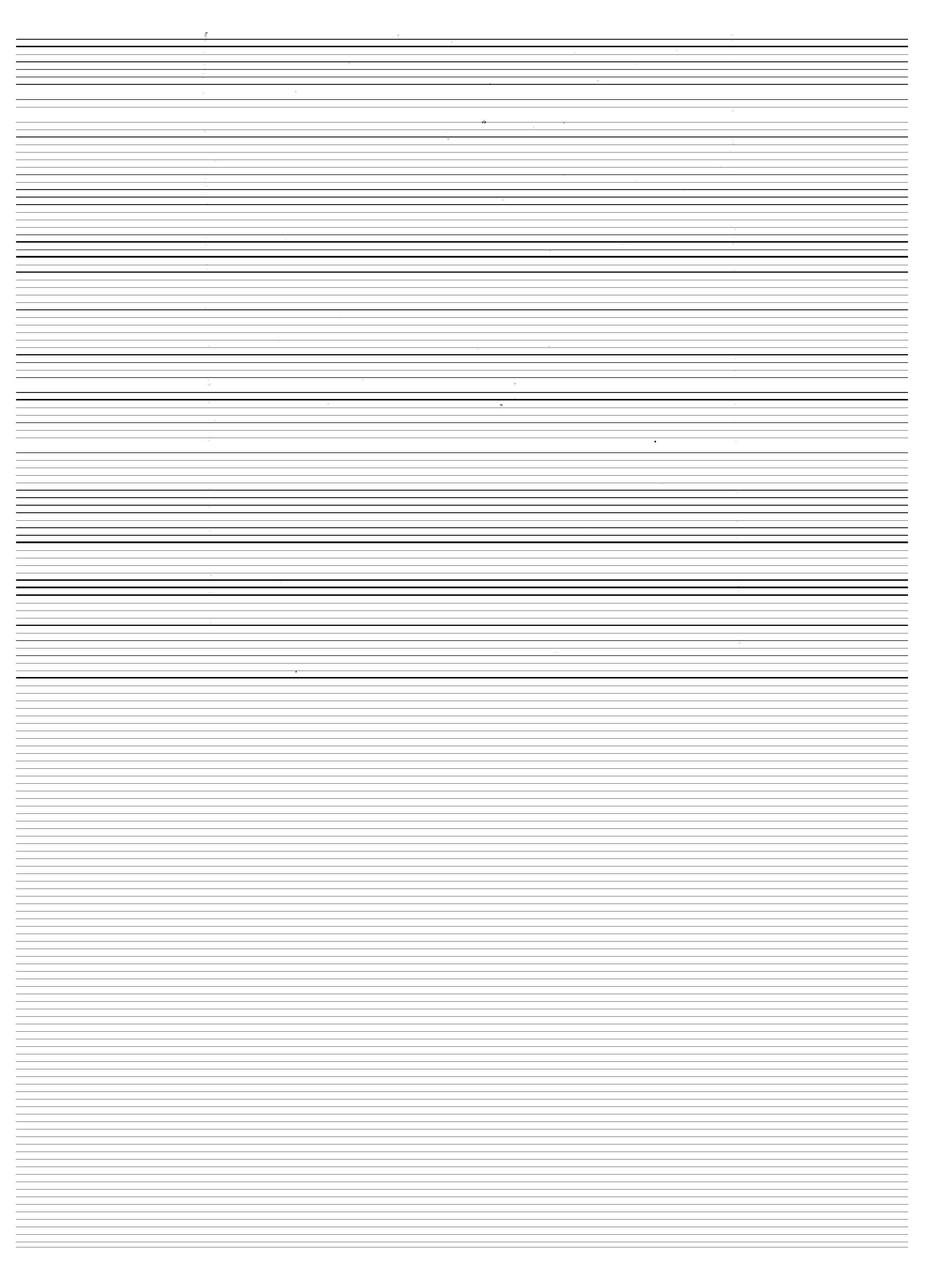
لأنجبتْ عواقر الجـذوعْ

وزغردتْ ألسنة الشموعْ

وقُـــطـــعـــت مـــن الـــظـــلام كـــفـــه الـــمـــســـيـــئـــه

وســـقـــطـــت مـــن الـــكـــلام كـــلـــمـــة «الـــخـــطـــيـــئـــه»

*



ماذا يقول الموتى ؟

هنالك حيث تحتضنُ الرمال الصفر آلافا من الموتى

وعند شواهدٍ نصبتْ علائم تجرع الصمتا

أقاموها من الصبار والحجرِ

ومال البعضُ من ضجرِ

ترجّع بالصدى الواهى أنين الريحِ والشجر

وتنسج فى زواياها العناكبُ بيتها الواهنْ

وتبكى البومُ موتانا

أولئكم الذين تكفنوا بالرمل والنسيانِ .. يا أسفا !

ويا عجبًا لدنيانا

ذهبت هناك .. فالقلبُ الحزين هفا ..

إلى جدّى الذى قد كان أوصانى

وصوتُ راعش الكلمات يحمله إلى أُذنى

من الأيام طيفٌ واهنٌ هتفا

غداةَ أسير يصحبنى إلى «الكتّاب» : يا وَلدى ..

أمدَّ الله فى عمرك .. إنى قد دنا عمرى

غدًا سأموتُ يا ولدى

وأنتَ تكون «شيخًا» يحفظ القرآن فاذكرنى

وجئْ يومًا إلى قبرى

لتقرأ «سورة» نورْ بها لحدى

* * *

ومرتْ لحظة .. وتحركت شفتانِ .. لا أدرى

أفى صمتٍ تحركتا .. أفى جَهْرِ

فقد دارتْ رحى قد أثقلتْ صَدْرى

وأعولتِ الرياح .. وردَّد الصبار والحجرُ

«غدًا سأموت يا ولدى»

«غدًا سأموت يا ولدى»

رنينٌ يفزع الأمواج للأبدِ

ويمضى الموج فى صخبٍ ليرقد يجرع الصمتا

هنالك حيث تحتضنُ الرمالُ الصفر آلافًا من الموتى

وضعتُ يدى على رأسى

بكيت هناك فى نفسى .. على نفسى

وها رحلَ النهار وغابَ فى دوَّامة الشفقِ

ومدّ الليل أجنحة الظلام ترفُّ فى الأفق

وأجنحة من القلقِ

وندَّتْ صرخة تنداح فى يأسِ

«لماذا تقذف الأيام بالشمس

لتُدْفَنَ فى دجى الأمسِ

كما رقدت عظام الجد فى حفره ؟»

... .

وضاع سؤالىَ الحيرانُ .. وانتفض الصَّدى مره

وفى أطوائه حسرهْ

وصوتٌ من وراءِ الموت يأتى راعِش النَّبره

«غدًا سأموت يا ولدى»

ويخطفه أنينُ الريحِ والصبارُ والحجرُ

تردَّده . وما زالت تردَّده

ويحكى وقعه المطرُ

وجدّىِ خلفَ أسوارِ الفناء المرِّ ينتظرُ

هنالك حيث تحتضن الرمال الصفر آلافًا من الموتى !!

❋

الظـل قبـل الغروب

رأيتُ ظِلّيَ النحيلَ قبل ساعة الغروبْ

يمتدُّ خائفا كظلِّ كل شيءْ

كأنما يهم بالهروبْ

رأيته ورأسيَ الطويلُ يلتقِي بحائطٍ قديمْ

وجبهتي يثقبها مسمارْ

كلبٌ عقورٌ جاء كيْ يبولَ في زاوية الجدارْ

وفوق رأسيَ الممدودِ : يا للعار !

خطوت خطوتينْ

هناك فأس في يدَىْ فلاحْ

أهوى بها على الجدارِ مرّتين

أحسست أن صدرىَ المثقل بالجراحْ

تمزّقت أضالعه

وصار قلبىَ المسكين فى يد الرياحْ

كانت على الجدار قطةٌ صغيرة عيونها خضراءْ

لم ترهبِ الكلب العقور والنبّاح

التهمت من الرياحِ قلبىَ المطعونْ

الناس حولي يلغطون

اجتمعوا وكلهم عيونْ ..

أهدابها خيوط عنكبوت

ممدودة لقطةٍ كانت على الجدارْ

ما أثقل الذين يجثمون فوق عنقى

عيناىَ تجحظانِ . تحمرّان مثل الشفق !!

* * *

خطوْت يا صحاب خطوتين

لكننى من غير ما قلبٍ أسيرْ

ألم أقل لكم

قد أكلته قطة صغيرة عيونها خضراء منذ لحظتين ؟

واهًا لصدرىَ الممزقِ الأضلاع

قد التقى بصبيةٍ جياعْ

لو فوقَ صدرىَ الجريحِ يلعبون !

لكنهم – يا للأسى – يبكونْ

فتّشت فى محاجرى من أجلهم عن دمعتين

الجوع ماذا قد تفيده الدموع ؟!

عيناىَ تجحظان .. تحمَّران مثل الشفقِ

ما أثقل الذين يجثمون فوق عنقي

الشمس تخبو من بعيد .. تحترقْ

تذوب في مجامر الأفقْ

ظلي النحيل يختنقْ

وفجأةً .. تمسح كف الليلِ ظليَ النحيلْ .

*

أبـدا يأتـى الليـــل

أبدا يأتي الليلْ ..

أبدا يأتي غضبانَ بقامته السوداءِ الممدودهْ

أخرسَ مفقوءَ العينينْ

غولا منتفخ الودجينْ

ينتزع سريرى .. وتدبّ خطاه على صدرى

تزعج حزنى .. توقظ أوهامى الموءوده

وتُطيرِ حمائمَ لم تفرخْ فى عش ضلوعى .

أبدًا يأتى

يشطرنى اثنين عدوينْ

يختلفان ويختصمانْ

ويدور حديثٌ مسنونٌ لا يجرى فى شفتينْ

والليلُ بقامته السوداءِ الممدودهْ

ينهشُنى .. وتدوسُ عظامى قدماه العاريتانْ

يعتصر عروقى المشدوده

يَجْدلها سوطًا يُخرِس صوتى

أنكفئُ على صمتى

أستجدى الغرفة من يؤنسنى

يُفزعنى ظلى المرسومُ على الجدرانْ

أهرب فى طرقات الماضى المسدوده

ينفجرُ الماضى بركانْ

أختبئ طريدًا فى صفحاتِ كتابى

وكتابى لا يسألنى عمّا بى

حتى يأتي الصبحُ السأمانُ بخطواتٍ مكدوده

يتصايح أبناء الجيرانْ

وتدقّ الساعة دقاتٍ معدوده

يطرق بابى بائع خبز أو لبّان

«اصح فقد فات الوقت»

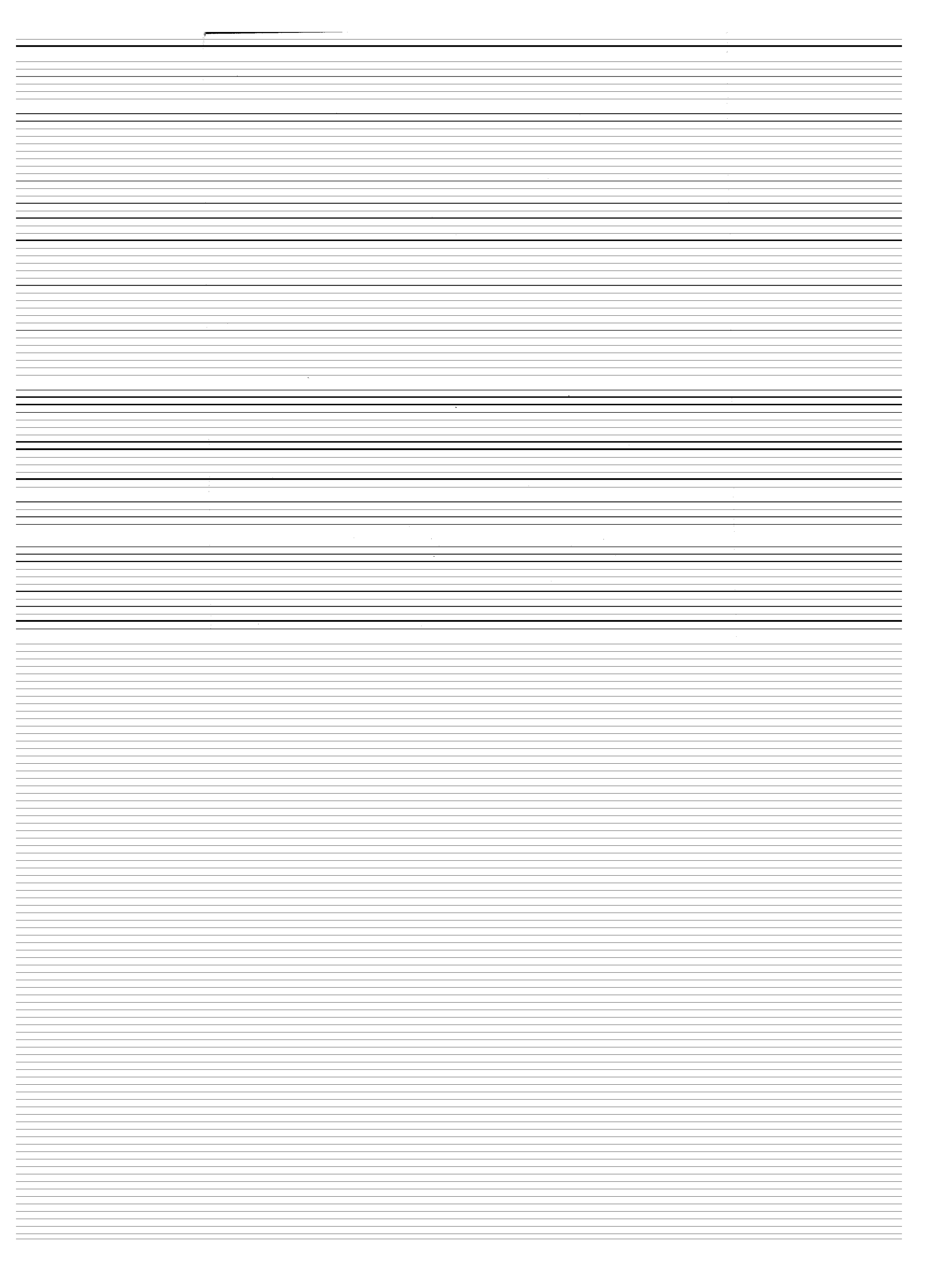
أحشو نفسى بين ثيابى

أخرج للشارع .. والشارعُ أنفاسٌ مهدوده

لا يسألنى عن حزنى إنسانْ

وأعود ليسألنى الليل !!

*



أبدا لن يغيب (*)

في زحام الموكب الطافي على موج الدموعْ

وظلال الحزن تمتد سحاباتٍ كئيبةْ

تصبغ الراياتِ والأوجهَ في هذى الجموعْ

تخرجُ الصيحةُ مشدودًا إلى القلبِ صداها

قلب مصرْ

وتنادى من دعاه النيلُ من ألف سنةْ

مدّ في الغيبِ ذراعَيْه لكي يحتضنهْ

كنت أنت

(*) قيلت في رثاء جمال عبد الناصر .

يا جمالْ

يومَ جئتَ اخضرتِ الأرضُ وماجتْ بالحياهْ

وجرى النيل على كفيك خصبا

وتنادت ضفتاه

وأذبت القيد من أيْدٍ مضت تبذر حَبّا

وتغنى الفأس فيها لك حُبّا

وعلا صوت الحيارى فى امتدادات المداخنْ

صعدت بالدعوات البيض أفواه المآذنْ

نطقت ألسنة معقودة بالذلّ آلاف السنينْ

ومضى الركب إلى الغاية مرفوع الجبينْ

كنت حاديه إلى الحق المُضَاعْ

ثرت فيمن سرقوا اللقمة من أيدى الجياعْ

يا جمالْ

هؤلاء الضعفاء الفقراءْ

من تساقوْا من أياديك كؤوس الكبرياء

في زحام الموكب الطافي على موج الدموعْ

يحفرون القلب مثوًى للذى مر بهم دون وداعْ

فاسترحْ بين ضلوعٍ قد حناها الالتياعْ

وأفيقي مصر من هول الخطوبْ

ابنك الخالد يدعو للوثوبْ

صوته يمتدّ فى كل الصدورْ

أبدًا يخضر فى كل المزارعْ

أبدًا يهدرُ فى كل المصانعْ

أبدًا عنك يدافعْ

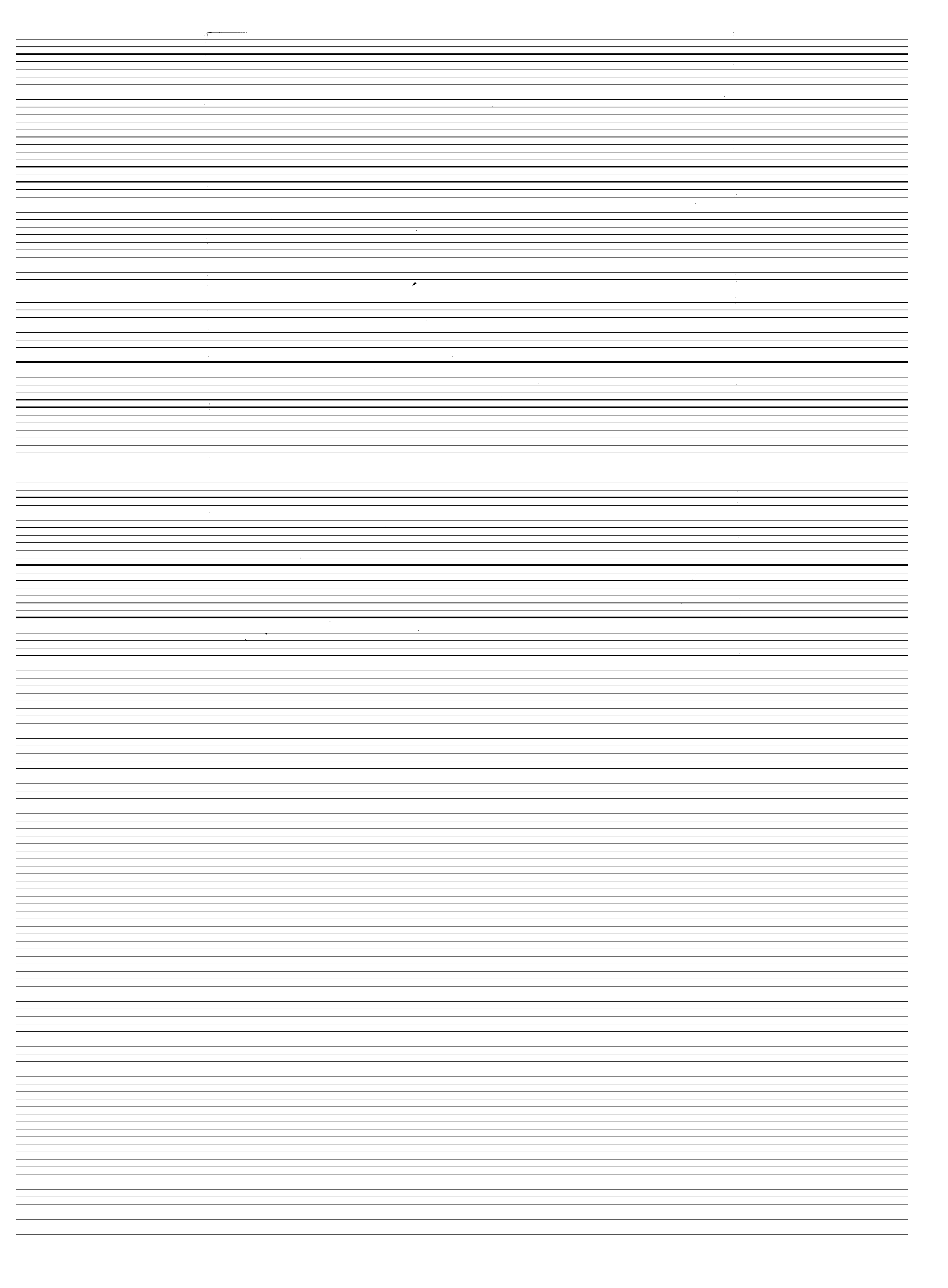
فاسمعيه بين صيحات المدافعْ

أبدًا يا مصر عنّا لن يغيبْ

كفكفي يا مصر من هذا النحيبْ

لم يمتْ من عاش نبضًا فى القلوبْ

*



أخـاف مـن عينيـك

منْ لىَ مـن عينيـك يا فتنـة ... فى ظلها هنتُ ، وهان الهوانْ

أخـافُ مـن عينيك يـا قطتـى ... ولم أكنْ من قبلُ أخشى الطعان

منْ يومِ أن ضمّ المنى منهمـا ... جنـاحُ حـب دافـئٍ فـى حنـانْ

اخضوضرَ الحرف بأنشودتى ... وزقزقت فى القلب عصفورتانْ

وصـرت فـى محرابهـا عابدًا ... تخضـلّ مـن دموعـه الوجنتـانْ

قربانُـه الحبّ ، وتسبيـحُــه ... بالشعر ، لوْ .. لوْ يستطيعُ البيانْ

* * *

أخـافُ من عينيك إنى علـى ... بابيهمـا أجثو صريـع الجنَـانْ

تقذف بى عيناك مِنْ موجةٍ ... لموجة ضلّ بها الشّاطِـانْ

يصـــوّر السحـــرُ بهدبيهـمـا   مـرافئـا خـداعــة بـالأمـــانْ
فكلمـّا هدهدتُ مـن زورقـى   وقلتُ : لا ، يا قلبُ آن الأوانْ
تعصـفُ بـِى عينـــاك فى نظرةٍ   تزلـزلُ المـوجَ وتَثْنى العنـــانْ
فمـــرّة عينـــاكِ فـــى ثـــورة   ومــرة يـا فتنـتـــى تهـــدآنْ

* * *

عيناك .. ما عينـاك إلا هُـدًى   لحائـر فـى فلـوات الزّمــــان
فى كل عيـنٍ منهمـــا نجمـــةٌ   رقّصت الضوء لـه فاستكانْ
وحينـمـا ســار علـى نورهـا   أغمضتِ الجفْنَ فضلّ المكانْ
فـلا تَغُضّـى الطرف عن حائرٍ   ينشد فى عينيك شط الأمَانْ

* * *

عينـاك لحنٌ راعــشٌ جـارح   أَوْتـارُه قـلـبـى ، بـه تضـربـانْ
فــآهِ مــن عينيــكِ مـــن فتنــةٍ   فى ظلها هنتُ وهانَ الهوان !

*

مـاذا بعـد

تسألني عيناك الحالمتان :

كنتَ تقول الشعر زمانًا ثم سكتْ

واليوم تعود لقول الشعر

من أطلق في وجدانك هذا الصوتْ

من حطّم في قلبك جدران الصّمتْ

ويجيبك قلبي النّابضُ بالأحزانْ

وهو يدافع وجه الموتْ

يا فتنتي أنتِ وأنتِ وأنتْ .

* * *

حينَ رمتْ بى ريحُ الحبّ غريقًا فى عينيكِ

تتقاذفُنى أمواجُ السّحرِ الطاغى فى هدبيكِ

كنتُ أنادِى باسمك ألمَا

أرفَعُه – وشراعى يغرقُ – عَلمَا

أتعلّق فى أحرْفِه حُلما

فتضىءُ الأحرفُ فى شفتىَّ ويرتدُّ صداها نَغَما

يهمِسُ .. يهمس فى أذنيكِ

فظنَنتِ – ويا للظنّ الناعم – أنّى أُنشدُ شِعرا !

يا فاتنتى هذا صوت غريق

لو أطبقتِ عليه الجفْن فسوف يُفيق

ليعيش بعينك العمرا

يُنشد حينَ ينادِى باسمك شِعرا !

* * *

تسألنى عيناك الحائرتان :

ماذا بعد ؟

أوشك أن أسمع في صفو حياتي زمجرة الرّعد

أعد النفس بأني سوف أعيش لعشي الهادئْ

لكنْ .. طيفكَ يدعوني فَيُزَلْزِلُ هذا الوعدْ

قل لي .. قل لي : ماذا بعد ؟

* * *

يا فاتنتي كُفّي .. كُفّي

حين يذوبُ القلبُ رحيقًا في الشفتينْ

حين ترف الروح شعاعًا في العينين

حين يَدِفُّ الأمل الظمآن مشوقًا بجناحينْ

يرتاد النبع الصافي .. يغرقُ .. يتعلق في الهدبينْ

حين تلامس كفُّكَ كَفّي

يختلطُ الماضي والآتي بالحاضرْ

لا أعرف كيف وأين

تتمدد في الزمن المخبوء سنينُ العمر الضامرْ

تتفجّر في اللحظة سنواتُ الشاعرْ
يُخصِبُ كلُّ عقيمٍ من أيّام عذابى
أسمَعُ في همستك النّشوى كل الكلماتْ
ينسابُ بنفسى ضوءٌ مَشْبوبٌ من خدّيكِ
يَعلو بى فوقَ الزّمن المحدودِ البُعدْ
أنسى .. ننسى ماذا بَعدْ !

* * *

معذرةً إن طال عَليْكِ جوابى
فأنا أنظرُ في عينيكِ !

*

الـوداع الأخيـــر

اتركينـــى غيــر باكيـــةٍ   ليـس بـى للدّمـعِ مُرْتَجَــفُ

واستريحى لم يعدْ ألمـــى   ذلك اللونَ الذى وَصفُــوا

عاد لى ما غابَ من رَشَدِى   وتـولانـى لـــه أسَـــفُ

فاستقَـرّ القلـبُ وانخلـعتْ   شوكةٌ فى الروح ترتَجِــفُ

* * *

يـا مثـالاً صُغتُـــه بيـــدى   كـانَ بالأضـــلاع يكتنـــفُ

حُبــه يقتـاتُ مـــن كبـدى   مـن دمـى مـا شـاء يغتـرفُ

كـــان إمّـــا مســـه ظمـــأ   من رحيـق القَلـبِ يرتشـفُ

كـــان إمـــا شاقَـــه لعــبٌ   فـى حنايـا النفــس ينعطـــفُ

كـــان فـــى عينـــىَّ مَشرقـــه   ولـــه فـــى العيـــن مُنْصَـــرَفُ

لا أبالـــى النـاسَ إن جهلـوا   مـــا ألاقـــى فيـــه أم عرفُـــوا

كيـف أمســـى نهرنـــا كـدرا   وهـــوتْ من بيننـا كِســـفُ ؟

كيـــفَ .. لا كيـــفَ فقـــدْ جَرَفتْكِ سُيولُ الطيـنِ .. هل أقفُ

... ...

إننـــى مـــاض علـــى ألمـــى   لا أحـــبّ الســـرّ ينكشـــفُ

فاتركينـــى غيـــر باكيـــةٍ   ليـس بـى للدّمـع مرتجـــفُ

إنـــى حطمـــتُ مـــا خَلقتْ   يَـدُ قلبـى ، وليكـنْ تلـفُ !

لا تظنّـــى بـــى معـــاودةً   إنـنى بالكبـرِ مُتصـــفُ

*

حلـم ليلـة ثقيلـة

فجأة ينسدل الليل على كل المرايا الصدئه

تسرع السحب ،

وتعوى الريح فوق الأوجه المنكفئه

تنظر الأعين ..

يغشاها دخان من كوى فى أنفس منطفئه

المرايا غائمات صدئه

تتنادى الأذرع العمياء لأيًا ،

تَيْبَس الأيدى بمعقوف الأصابع

تسقط الجدرانُ ،

تهوى الريح بالأشلاء فى وديانها الممتلئه

حيثُ تبكى البوم ، تهتاج الخفافيش ، تُشَلُّ الأجنحه

تتلوَّى الأرض ثعبانا خبيث الفحّ تحت الأضرحهْ

تصرخ الأشباح ، تهتز المضاجعْ

يئد الموتى أحاديث اللقاء المصمته

يمضغون التبغ ،

تعرى فى الظلام الذكريات الهشة المهترئه

المرايا غائمات صدئه

تتمطى فى الدخان الرغبة المختبئه

وأرى خلف جدار الصمت من بعض الزوايا

فارسًا يولدُ فى الوهمِ ، وينمو

مارقًا كالسهمِ من بين المرايا

يدُه بالسيف تختالُ ، وحدّ السيف براقٌ وقاطعْ

تصرعُ الرهبةُ فى موكبه كل مخادعْ

اليد الأخرى على موردِ نبعٍ لم تشبْه الأوبئه

يملأ الأقداحَ بالحب ، ويسقى كل منزوف المنابعْ

يجمعُ الأشلاءَ ، يجلو صداً المرآةِ

يُحْيى فى الشفاه الكلماتِ الميته

ينفخُ الروحَ قويًّا فى التماثيلِ ،

يشدّ الشمسَ من مرقدها ،

يُمْسكِ بالريح .. يؤز المرجئَهْ

يزرع البذرة فى الأرضِ الخراب الظامئه

الربى تهتز نبتًا يا إلهى ..

فارسى صار مائه !

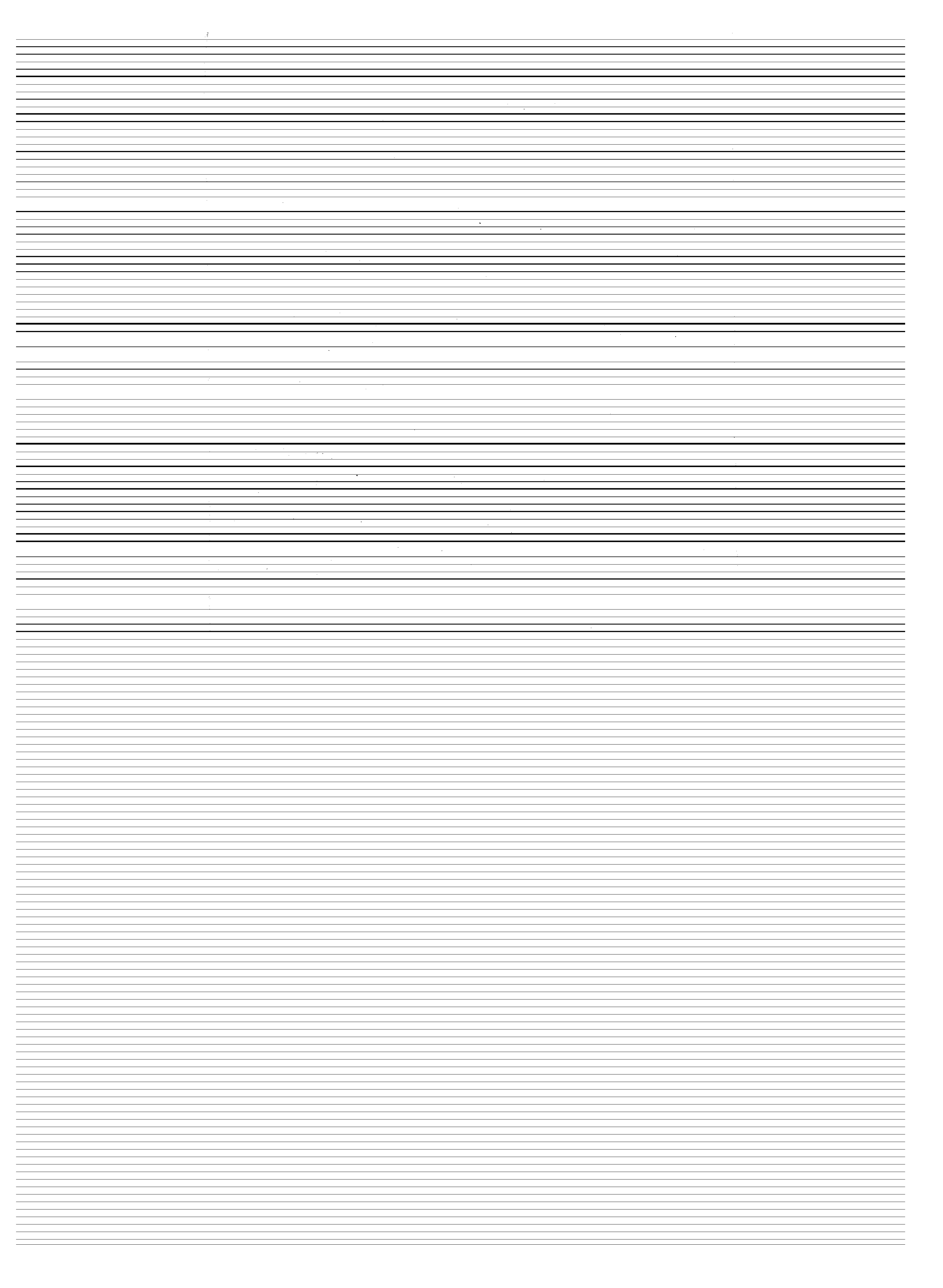
الرؤى تمضى ..

وتحت الليل ، خلف الفارس المسرع ، صوتْ

أيها الفارس لا تبعد ، فبعد الفوت موتْ

أيها الفارسُ .. لكنى صحوتْ !

* * *



النـــار ... والحطـــب

لا تثيرى النار فـى الحطــب　　حسبُ قلبى حرقةُ الكـذب
وانْعمـى بالـــرىّ ناسيــةً　　أنّ هـذا الرى مـن سغبـــى
واعزفى ما شئت مـن نغــمٍ　　لـم يعد يُصْغى له طربـــى
ليس تُشْجى الروحَ خائنـةٌ　　بئرُها منزوفـــةُ الحلَـــبِ

* * *

هـل تولى السامرون ، فلـم　　يبق غيرُ النفخِ فى اللّهـبِ
كنـتِ فيمـا قبـلُ شامخـــةً　　غيمـةً تمْضـى مـع السحبِ
نجمـــةً بالضـوءِ شـاردةً　　إن دعاهـا الطينُ لم تُجـبِ
نحن من طينٍ ، أجلْ : فـإذا　　مـا تجاوزنـاه .. لـم نغـبِ
غيـر أنـى ، والهـوى مزقٌ ،　　لا أرى للـذلّ مـن سبـــبِ

* * *

هل تراخى البحرُ ، وانكسرَ الْـ ـــكبْر فى أمواجِـه اللُّجبِ
فغدتْ فيــهِ الزوارق تَمْـ ـطو جناحًا هيِّنَ الغلبِ
كنــتُ أهــوى فيه ثورتــه وأرى فــى مــده أربــى
مــرةً يرضــى فيحملنــى بَعْدَهــا يطغــى فيقذفُ بــى

* * *

أنــتِ .. أنتِ القلب يعرفها طفلــةً عفويَّــة اللعــبِ
وردةً بيضـــاءَ شائكــةً قطةً محذورة الغضــبِ
معبــدًا بالحب مؤتلقًــا زَيَّنَــتْ جدرانَــه قُربــى
فإذا مــا عــدتِ شائهة تينــةً مسمومــةَ العطــب
فاغفــرى لى أننــى بشــر غيــرتْ منّى يــد النُّــوَبِ
ودعــى للقلــب صورتَــه إنــه طفــلٌ بغيـــرِ أبِ
واتركــى الذكرى وصاحبها - لا تثيرى النارَ فى الحطــبِ

*

فى البدء كانت الكلمة

● أراكِ فَينْتَفِضُ القلْبُ أُغْرُودَةً فِي الضّلُوع ،

وتشْدُو عَصَافيرُ بيْنَ الجوانح ،

تَخْضَرُّ أغْصَانِيَ اليابِسَاتُ ،

وتُورِقُ كلُّ الحُروفِ ، وتُزهِرُ ، تُثْمِرُ ، تُفْرِخُ كُلُّ الطيورِ ،

وتأوى إلى العُشّ كل حَماماتِه الشارده .

* * *

● وأهتفُ باسْمكِ ، يا عيْنَ سرِّ الوجودِ ويا قُدْسَ أقداسِه ،

حينَ تَهْوِى نسورُ الهموم بأجنحة اللّيلِ فَوْقَ فراشاتِ أحْلامِيَ الحائماتِ ،

فتنْسَلُّ من بيْن أحرُفهِ اللامعاتِ خيوطٌ تضِئُ سُكونَ الظَلام ،

فَتفزعُ كل الخفَافيش ، تحْيا رفاتُ المُنى الهامِدَهْ .

* * *

● فَفِي البدءِ كُنْتِ ، وغَنّى ببابك ، يا قِبْلَةَ الرّوح ، أَهْلُ المواجدِ ،

والشعراءُ ، وكلُّ المحبّينَ ، والكاذبينَ ،

وأَعْطيْتِ منديلَكِ السُّنْدُسِيَّ لينفُث فيه الّذين أطالوا الوقوفَ بباب

هَوَاكِ ،

وبَعْضُ الذينَ امتطوْا صَهَواتِ الخداعِ إلى كُل ما يبتغُون ، لهمْ ألفُ

وجهٍ ،

وألفُ لِسانٍ ، وكنتِ على ما أتوْا شاهِدَهْ .

* * *

● أرينىَ أنْظُرْ إلَيكِ ، تَجلَّىْ ،

مُرِى السُّحْبَ تُمطرْ ،

مُرِى الأَرْضَ تَخْضَرُّ ، تَهْتزُّ ،

إنّى تعلّقتُ سبْعَ سنينَ عجافٍ ببابك أدْعُو ، أُصلّى ،

أُصَعّدُ رُوحِيَ أسْوَارَكِ العالياتِ ،

وأنظر كيما أراك

فَلا تحْرِمِى صَلَواتِىَ نَظْرَتَكِ الواعِدَهْ .

* * *

● أجيبى ، فإنّى أُناديكِ ، أَخْلو لِنَفْسِى أُناجيكِ ،

أُشْعِلُ رُوحى لديك شُموعًا ،

أذيبُ فُؤَادِى الصَّدِيعَ دُمُوعًا ،

وَأَقْضِى النّهارَ شُرُودًا مَضِيعًا ،

وأَذْعِنُ للأمر مِنْك خُشوعًا ،

فلولاكِ ما كان كُرْهٌ ولا كانَ حُبٌّ ،

ولولاكِ ما كان خِصْبٌ ولا كانَ جَدْبٌ

ولولاكِ ما كان سِلْمٌ ولا كانَ حَرْبٌ

وأنتِ ، كما أنْتِ قبضةُ نُورٍ تَلألأُ فى أَعْيُنِ العاشقينَ ،
وَفِى خاطِرِ الشُعَراءِ
فَهلْ تَقْبَلين العذَابَ شفيعًا ببابِ مَدَارِكِ ،
يا نجمتى الواحِدَة .

*

تقاطعات فى دائرة مغلقة

● يَمر قطارُكِ فى اللّيلِ تحت جناحِ السّحاب الدخّانِ ،

ويَصْفر لا يتوَقّف والعجلاتُ تَدورُ ، تدورُ ،

وتطحَنُ فى الظلماتِ الزّمان الكئيب ، تَدُورُ ،

وتَمَضى على الرّاكبين الدقائِقُ حُبْلى بألفِ جنين سيولد يَوما ،

فبالأسلاتِ التي خلّف الأقدمون تُطيلُ النساءُ أظافرهن ،

يُمزّقن أستارَ هذا الحياءِ الكثيفِ يُغَشّى عيون الرجالِ ،

ويَجنينَ ما لم يكُنَّ زرَعنَ ،

ويُغمضن أعينهنّ ،

ويكشفن أسنانَهنّ اللوامعَ ،

يضربْن في الردهات بأرجهلنّ فياضيعةً للبَغايا ..

ويَلبسنَ أقْنعة في الوجوه ، ولا تستجيب المرايا ،

فيفزعن ،

يحلُمنَ حينَ تكون المسافاتُ أبعَدَ من عمر نوح ،

يُثرثِرن ،

تحكي العجائز منهنّ قصّة ذاك الفتى السَّمهريّ القوام ، أتى ذاتَ يومٍ

دُروبَ المدينة ، يسْبي العذارَى بهزّ الرُّدَينيّ

– يَهمسنَ كلٌّ إلى الأخريات «لقد كنتُ إحدى اللّواتي سبينَ» ،

ويستُرْنَ أفواهَهُنّ يُقهقهنَ ،

يُكْمِلنَ – يَمضي بهنّ على صَهواتِ الجيادِ ،

تَصيرُ سحابًا دُخانا إذا صاحَ ديكُ الصبَّاحِ ،

وأذّن في الجمعِ صَوْت أَسِيُّ النَّواحِ ،

يطيرُ إلى جَنَبات الغصونِ العجافِ ،

يثيرُ عصافيرَ تَزْقو من الجوعِ ،

خلَّفها الأبوانِ مع الفجرِ ،

هَلْ مَن يعيد إلى العُش دفْءَ الحنان الشريدْ .

* * *

● يَمُر قِطارُكِ فى الفَجرِ ،

فى أعينِ الساهرين الذين قَضَوا ليلَهم فى دَوائِرِ يحتلبُون النجومَ،

ويرتقبون انشقاقَ السَّماءِ عَنِ المعجزات ،

متى يُزهرُ الدَّمْعُ فوقَ الغصون العجافِ ،

وترْوَى السَّنابلُ بالعرقِ المترقرق فوقَ الجبينِ ،

وفَوق السَّواعد ،

يا صَدَاَ الكلماتِ ، وجُبْنَ الحروفِ ، ونَجوى المحبين فى

شرفات الأمانى ،

كلبلابة سُقيتْ بالدموعِ ،

وحَطَّت عليها حمامةُ حُلْم قديم ، تدسُّ بمنقارِها فى مناقيرِ

أفراخِها بَعْضَ ما جمعتْه من السنبلاتِ اليوابس ،

هل من يعيدُ إليها الأمانَ القديمَ لتهْتف أفواهُها بالنّشيد الفقِيد .

* * *

● يمر قطارُكِ في الصبحِ ، يا دورة الألم المستبدّ ،

فهلْ تُشرقُ الشّمسُ تحتَ الضلوعِ ،

وتبرأُ من سحركِ البَابليّ

وهل تستفيقُ الفراشاتُ ، لا ترتمى فى لهيبك يا شعْلة النارِ بينَ الحَنايا ،

وهَل يُطفأ الظمأ المتعطّش للدّمِ ،

يبطؤُ زحفُ الحنينِ إلى الأرضِ بابن الترابِ

ينادى أباه الذى ضاع ،

بابنِ التى تغتذى بنيها ،

وتُلقِى ببعضهمُ قبلَ سنّ الفِطام ،

وتقذفُ بعض الأجنّة قبل التّمام ،

وتَسْكر بالدَّم تعصره من قلوب الضحايا ،

وتشربُه في الجماجم ،

تلقى بهنَّ على الطين ،

نحن من الأرض جئنا فُرَادى عَرايا ،

وها نحن نمضى إليها أُسَارى سَبايا ،

ولا تستريحُ ظهورُ المطايا ،

وفوقَ التّلالِ ترى البومَ تنعبُ قد وشّحَت بالسوادِ ،

ولم يبْقَ إلا العُيونُ التى تخِز الليلَ بالنَّظرات الثكالى ،

فَمن – يا تُرَى – للصباح الوليد .

* * *

● يمر قِطارُك .. نحنُ انتظرنا طويلاً ،

حملنا حقائب أسفَارِنا ،

وغَزلْنَا مناديلنا من دمُوع الفراقِ ،

وماتت على شفتينَا الحروفُ ،

وكنّا نفجّر بالكلماتِ صُخورَ المحالِ ،

ونُخصِبُ أرحامَ عقم الصحارى ،

فَما ولَدَت غيرَ صُفر الرِّمالِ ،

عليها شواهدُ مَن يُدفَنون تُجاهه ريحًا تهبُّ ولا تستقرُّ ،

وتُسفى عليها غُبَارَ السنينِ ،

وتدفعها مَوْجَةٌ مَوجة لا تحيدُ عن الشّاطئ الأبَدىّ ،

فهل تُخرجُ الأرض أثقالَهَا ، وتَجفّف أرحامَهَا ،

ثم تُرْضع أبناءَها من جديد .

* * *

● يمر قطارُك فى الليلِ ، فى الفجرِ ، فى الصبح ، فى كل وقت،

ويصْفِرُ لا يتوقّفُ ،

يسرع لا يتوقّف ، فوقَ قضيبين يطّردان ،

يدوران ، لا يَلْتقى أحَدٌ بأخيه ،

ترى العجلات دوَائر فى فلَكٍ مستثار ،

تموتُ على كفِّهِ الشمسُ مخنوقةً فى المساءِ ،
وتولدُ كلَّ صباح ، ولا تستقرُّ ،
وفى اللَّيل حينَ يحطُّ الظلامُ المخوفُ ،
تُطِلُّ النجومُ برعشةِ ضوءٍ حزينٍ ،
ويَبْسم من بينها قمرٌ باهتُ القسماتِ ، يُفتِّش عن مستَقرٍّ ،
يجيء هلالا وليدا ،
ويمضى محاقًا طريدًا ،
ويحلُمُ فى ضَوْئِه العاشقونَ ،
وتَنبُت - رَغْم هُبوبِ العواصِفِ - زهرةُ حُبٍّ قَديمٍ ،
على جدولٍ من دمُوعِ الحيارى ،
تُطِلُّ بعينين دامعتين ، فيأسَى لها كل صَبٍّ شجيٍّ ،
ويشدُو :

«لـك اللهُ يا زهـرة فَتَّحَـتْ ... بقلبـى ورَفَّ شذاها الحنونْ
بحقِّـكِ لا تذرفـى دمعَـة ... فِـداء لهَا كلُ شـىء يَهُـونْ
فعَينـاكَ نافِذتـا رحْمَـةٍ ... لقَلب تُعـذِّبُ فيـه السنُـونْ
فـلا تَحْجُبى النورَ عن مُتْعَبٍ ... غَدا تائِهًا فى ظَلام الظنونْ»

وهَل يَلِدُ الحزْنُ إلاَّ العَذابَ ،
ومن يَغترفْ غَرْفَةً من صفاءِ الحقيقةِ تسْجدْ له الشمسُ ،
يُخرج له الكونُ أسراره الأزليَّةَ ،
ينظرْ بعين البصيرةِ ،
يلقَ مفاتيحَ كل المغاليقِ بين يَديه ،
يَلجْ كلَّ بابٍ ،
يَصِرْ قطرة فى سحَابٍ ،
يَذُرْ ذرَّة فى تُرابٍ خَصِيب ،
يكن كلمة فى دُعاءٍ من الأرض ترفعُهُ للسماءِ ،
فقدْ مَدَّتِ الأرضُ منذُ قديم إليها أكفَّ المآذنِ ،
دَقَّ النواقيسِ ،
هامَ النَّخيلِ ،
رُءُوس الجبالِ ،
فمَنْ للظَّماءِ بنهرِ الصَّفاءِ البعيد البعيدْ .

*

بين الخليج والنيل (*)

بين ربوعِ الكويت والنيل ينشطر القلب ، دون تخييلِ

شطر بحب الكويت مشتغلٌ يقرؤه سورةً بتنزيلِ

وثَمَّ شَطْر بمصر يعشقها عشقَ ضياءٍ لزيت قنديلِ

تنازعاه فضمّ حبهما لا فرق بين الخليجِ والنيلِ

فإنْ أكن شاخصا بأيهما فالقلبُ عَمَّنْ يغيبُ يروى لى

وسوف يروى حديث معترفٍ عن لؤلؤ فى الكويت مصقولِ

(*) ألقيت فى حفل التوديع الذى أقامه قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الكويت بمناسبة انتهاء إعارتى إليها سنة ١٩٨٤ .

عن إخوةٍ قد صفت مودتهمْ لا يفسدون الوداد بالقيلِ

بهمْ يظل الفؤاد ينبض فى ذِكْرٍ بنبع الوفاء موصولِ

وسوف أبقى الحياة أذكرهم بكل حبّ وكلّ تبجيلِ

وكلما مرّ طَيف عهدهمُ يغرق دمع الحنين منديلى

* * *

لمــاذا ..؟

● لماذَا ..

لماذَا إذَا مَا رَأَيْتُكِ يَنْخَلِعُ الْقَلْبُ ،

يَرْجُف ، لا يَسْتقِرُّ ،

يَصيرُ لِسَانًا إذَا ما تكلَّمتُ ،

يَقْفِزُ بينَ الكلامِ ،

ويَقْطرُ حَرْفًا فحرفًا ،

وَيَجْرِى إلى الكفِّ مندفعًا لاهثًا ،

كىْ يلامسَ كفَّكِ حينَ تمدّين مِنْك يَدًا للسّلامْ .

* * *

● لماذَا ..

لماذَا إذا مَا رَأَيتُك تُصْبح كُلُّ الخَلايا عُيُونًا تَرِفّ عَلَيْكِ ،

تَصِيرُ سَحَابَة حُبٍّ تَرُشُّكِ طَلاًّ ،

وتُمْطِرُ ظِلاًّ ،

وَتَفْرِشُ أَهْدَابَها فى طريقكِ وَردًا وفُلاًّ ،

وتَجْعَلُ كلّ الفَصُولِ ربيعًا سَخيًّا ،

فَينْبُتُ فى كلّ أرض تَضُمُّ خطاكِ ابْتسامْ .

* * *

● لماذَا ..

لماذَا إذا ما سَمعتُكِ تَهْزِجُ أَحْلَى الأَناشيدِ دَاخِلِ رُوحى ،

وتَطْرَبُ كلُّ عُرُوقِى ،

وَيَرْوَى بها العَطشُ المتخثّر فى الدّمِ منذُ زمانٍ بَعيدٍ ،

أَخِفُّ ، أَطِيرُ ،

وَيحْمِلُنى صَوْتُكِ البابلىُّ ،

بأجْنحةِ الخمر والعِشقِ والشَّوْق والدِّفْءِ ،

يَمْضِي إلى حَيْثُ يلْقَفُنِي صَدْرُ أُمّي ،

ويُرْضِعْني ثَدْىُ أُمّي ،

يُهَدْهِدُني كُلُّ حُلْمٍ قَدِيمٍ ،

فَتسْكُنُ كلُّ جُرُوحي ،

وَتَهْدَأُ أَشْوَاقُ رُوحي ،

وأَشْهدُ ميلادَ فَجْرِ الوجودِ الجديد ،

وأسمعُ لَحْنَ الحياةِ الشّجِيَّ ،

يُوَقّعُهُ الحرْفُ يا فِتْنَتِي ،

حينَ تَعْزِفُ لي شفتاكِ الكلامْ .

* * *

● لماذا ..

لماذا إذا غِبْتِ عَنّي يهاجمُني الخوفُ ،

يُفْزِعُني الصَّوْتُ ،

يَقْتلُني الصَّمْتُ ،

يَنْهَشُني الموْتُ ،

يَنْطِبقُ الأفْقُ ، تطْحَنُ كفّا رَحَاهُ الْبَقَايا ،

ويَنْسَدِلُ اللّيلُ فَوْقَ المرايا ،

وتَهْرُبُ كلُّ النجومِ ،

ويُصْبح طَعْمُ الدقائقِ مُرًّا ، ويجلدني السَّأمُ المسْتبدُّ ،

وتُجْدِبُ أَرْضُ الزّمانِ ،

أَصِيرُ وَحيدًا غَرِيبًا ، ويُنْكرُني كلُّ شيْءٍ ،

وَيُصْبِحُ في كلّ شَيْءٍ قَتَامْ .

* * *

● لماذا ..

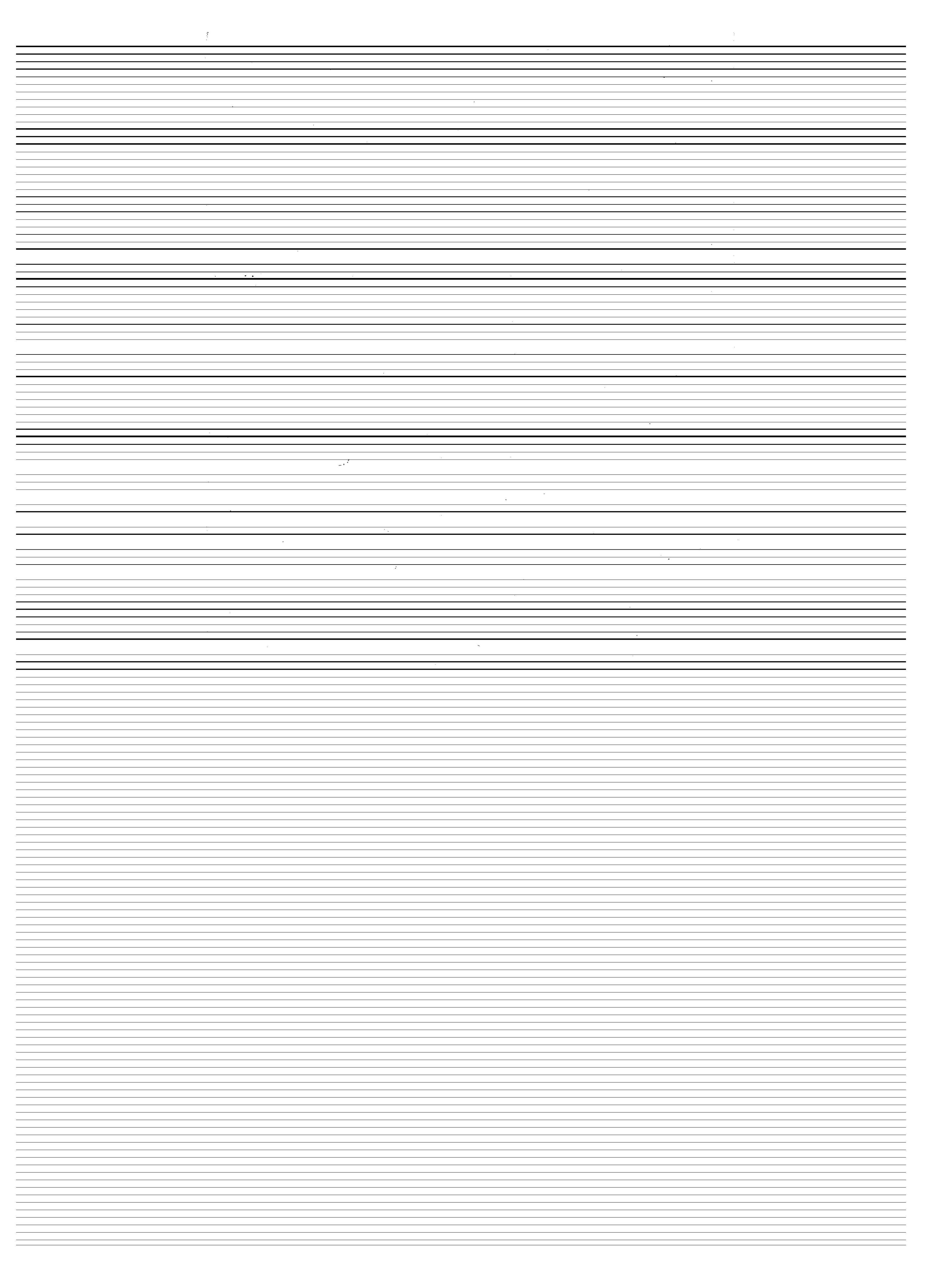
لماذا إذا ما ذكرتُكِ في اللّيْلِ يَنْسَلُّ من أَحْرف اسْمِكِ ضَوْءٌ
يَدُورُ ، يدورُ ، وَيَرْسمُ صُورة وَجْهِكِ ، عَيْنَيْكِ ، شَعْرَكِ ، لَوْنَ
ثيابكِ ، صَوْتَ ابتسامِكِ في كلّ شيْءٍ ،

فَتضْحَكُ لى الشَّمْسُ بيْن الغمامِ ، وينفَسِحُ الأُفْقُ ،
يَهْربُ من لَيْلِىَ المكْفَهِرِّ الظَّلامْ .

* * *

● لماذَا .. لماذَا .. لماذَا ..
أَجيبى ، ولا تَقْتُلينى بصَمْتِكِ ، لا تَقْتُلِينى بِخوْفِكِ ،
أَوْ .. فَاقْتَلِى ،
لَيْسَ فى قَتْلِ مِثْلِى عَلَيْكِ مَلامْ !

*



الطائــر الجريــح

قلبــي ملكْت ، فصرّفيهِ بلين لا تَظْلميـهِ ، فَظُلْمةُ يُشْقينــي

عجبًـا لـهُ مــنْ طائـرٍ مُتمـرّدٍ يحيـا بقيْدٍ منك لا يُحْيينـــي

ضمّيـه بينَ يديْـك طيفًا واهنًـا أضْنـاهُ طولُ ترحُّلٍ وحنيـنِ

قـدْ فرَّ منْ صدْرى إليك لعلّـهُ يلْقى بك السّلوى لما يُضْنينى

أشقيتُــهُ بهـواك خفْـقا موجعًـا وارحْمتا للطائـرِ المسكيـن

كم طار ملتاعًا إليك ، وصدَّهُ خوفٌ من المجهول والتخّمينِ

ولكمْ دعاك وكان بَعْضُ دعائهِ شجـوًا يفيـض بحرقـةٍ وأنيـنِ

حتّـى فتحْتِ له ذراعىْ رحْمةٍ غفرتْ له أخطاءَ خوف سنينِ

فغفا بكفّكِ لحظةً قد أفرختْ كـلّ الحنـان وفرحـة التكْوينِ

وارتاح ينفض بالأمان جناحهُ　　　يزهو بريشٍ ناصع التّلوين

ويمدّ منقارًا ليلقط حبّةً　　　يحيا بها من حَبّكِ المكنونِ

ويداعب الحلم القديم ، وظَنُّهُ　　　أن ليس هذا العشُّ بالمجنون

لكنّ كفّك فجأةً قد فَزّعَتْهُ بقسوةٍ ألْقَتْ به للطّين

فارتاع ، راح يلمّ حُبًّا غاليًا　　　ويضمّه لفؤاده المحزون

ورنا إليك معاتبا ، فطعْنتِهِ　　　أرأيْتِ مطعونًا بلا سكّينِ !

وتذكر القفصَ القديمَ فخافهُ　　　ورأى الطريقَ إليهِ غيْر مُبينِ !

ما عاد يعرفُ للرجوع سبيلهُ　　　مَنْ لى يردُّ الطائرِ المطعون

رُدّيهِ فى رفقٍ إلى القفص الذى　　　قد فرّ منه ، وردُّهُ يكفينى

أوْ فاقْتُليهِ دُون أنْ تلْهى بهِ　　　فالقتْلُ أرْحمُ مِنْ حياةِ الْهُونِ

*

أحــنُ إليهــا

أيحسدنى فيها النّدامَى ؟ فليتهمْ　　يعانون مثلى من جوًى وهُيامِ

وليتَهــمُ يـدْرُون أنّى معــذّبٌ　　وأنّ غرامى لم يُقسْ بغـــرامِ

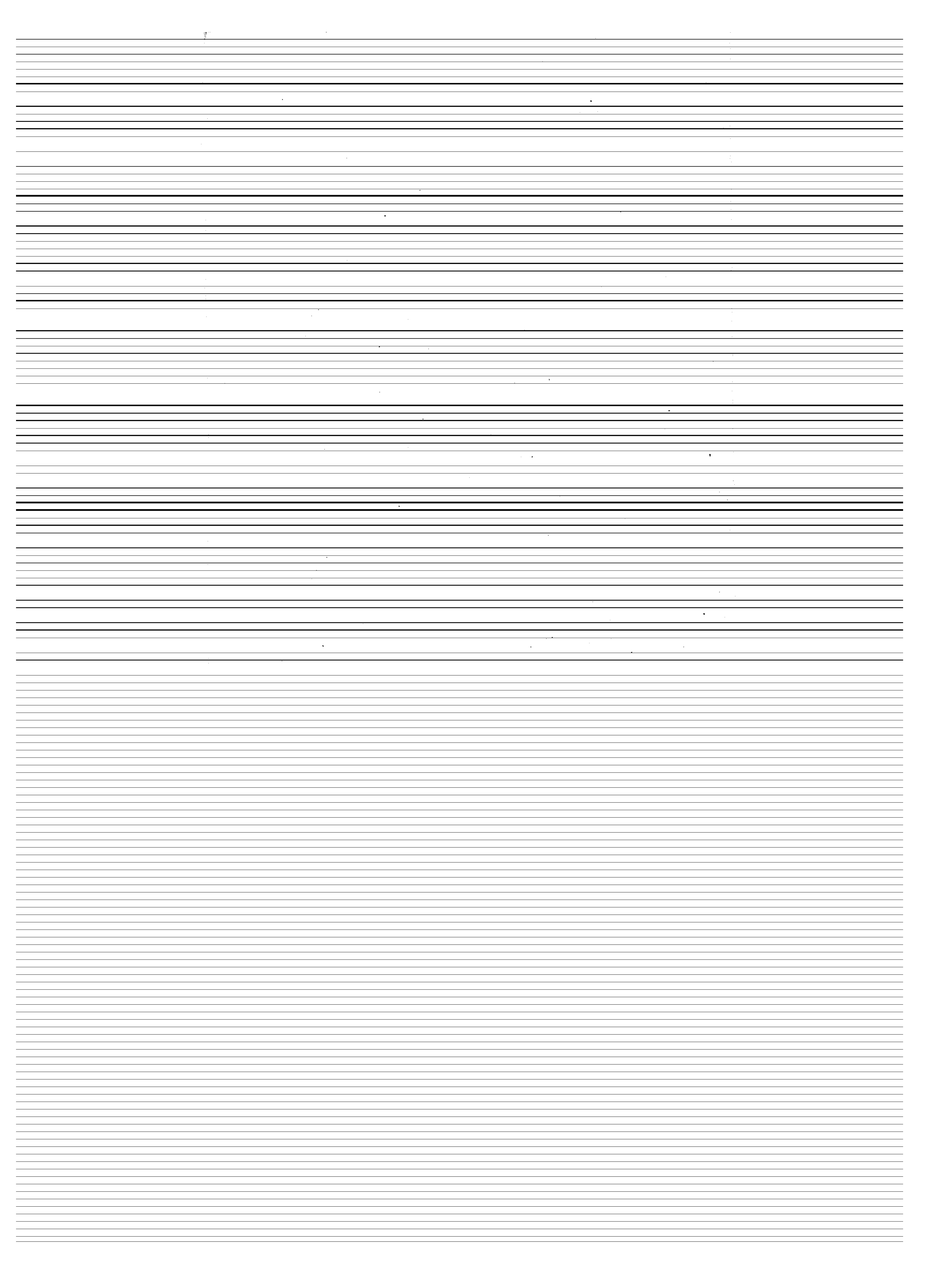
وأنّ الذى فيه شقائى ونعمتى　　حنينٌ بقلبى ضاق عنه كلامى

وأن التى أهوى تعيش بخاطرى　　وفى كـل شىء قـد أراه أمامى

فإن تَنْأَ عنّى فهى مِنّى قريبـةٌ　　لأنّ لها فى القلب خير مُقامِ

أحنّ إليها ما حييت فإن أمُتْ　　تحنّ إليها فى التراب عظامِى

*



عندما تغيبين ..

نَهارِى بِهَمّ النَّــوَى مُوجَــعُ — وفى اللّيل يشْقى بىَ المضْجَعُ
وأفزعُ بَعْـدكِ من كل شــىءٍ — ومــن قبْــلُ كنتُ ولا أَفْــزَعُ
وفى مجلس الصّحب مُستَوْحِشٌ — أُحَــدِّثُ فيهــم ولا أسمــعُ
فأجراسُ ذكراكِ فى داخلــى — مُعَلّقــةٌ أبــدًا تُقْــرَع
وتشــردُ عَيْنِــىَ بين الوجــوهِ — تفتّــشُ عنــك ولا تهْجَــعُ
وأمضي إلي حيثُ كان اللقاءُ — وحيدًا ، فينكرنى الموضــعُ
ولـم تمض بَعْـدُ سوى ليلـةٍ — فكيـفَ إذا ما مضـتْ أَرْبَعُ

* * *

إذا غبت عنى يغيب الحنانُ ويمضى الأمان فلا يرجعُ

وتغتالنى وحْشَة مُرَّةٌ وفى كلّ يَوْمٍ بها أُصْرَعُ

وتَشْرَقُ روحى بأسقامها وينهشُها ظَمَأٌ مُوجِع

تجفّ الينابيعُ ، والسُّحْب لا تَدِرُّ فلا قطرةٌ تَنْقَعُ

وهل تأنسُ الروحُ فى وحدةٍ حِرَابُ الظنون بها شُرَّعُ ؟!

* * *

تغيبينَ ، لا الشمسُ فى أُفْقها تدورُ ، ولا نَجْمةٌ تَسْطَعُ

ولا البدر يظهر بين السماء ولا السحبُ تُبطئُ أَوْ تُسْرِعُ

ولا خَطْرةٌ مِنْ رَقيق النَّسِيمِ تَمرّ ، ولا وَرْدَةٌ تَطْلُعُ

ولا الماءُ يَرْوِى ، ولا النيلُ يَجْرِى ولا الطَّيرُ مِنْ حَوْلِهِ وُقَّعُ

ولا البَحْر يَصْخَبُ فى مَوْجِهِ ولا الريحُ فى وَجْهِهِ تَصْفَعُ

ولا الكونُ فى فَلَكٍ سَابحٌ ولا شىء فيه لَهُ مَوْقَعُ

فَمِنْ أَىّ خَمْرٍ سَقَيْتِ الوجودَ   فَصَارَ إذا قدته يتبعُ
وَمِنْ أَىّ كَرْمٍ عَصَرْتِ الْهوى   فَفِى كأسِهِ مُهَج تْلمعُ ؟!

* * *

تغيبينَ – لا غبتِ يا مُهْجتى –   فيصرخ فىّ الأسى المفزِعُ
فَقَلْبِىَ طِفلٌ بلا أبويْنِ   وَأَنْتِ له البدءُ والمرجعُ
وأَنتِ له المهدُ عِنْد البكاءِ   وَثَدْىُ الحنانِ الَّذِى يُرْضِعُ
وأنتِ بعالمهِ كلُّ شىءٍ   وَأَنْتِ الَّتى مِنْكِ لا يشْبَعُ
يُنَادِى عَلَيْكِ بِدَقَّاتِهِ   فَتَبْكى لدقَّاتِهِ الأَضْلُعُ
وَرُوحِىَ عَطْشى كَعُصْفُورةٍ   تَنَازَعَها الخوفُ والمطمعُ
تَرِفُّ على الماءِ مذعورةً   ولكنْ إذا وردتْ تُدْفَعُ

* * *

لقد فنيَتْ فيك روحي وما لها بَعْدَ أَنْ فَنيتْ مَرْجِعُ

ولا رُقيةٌ منك تشفي الجوى ولا نَفْثةُ السّحر لي تَنْفَعُ

وما عاد قلبي يُطيق النّوى ولم أَدْرِ ماذا له أَصْنَعُ

فَعُودِي تَعُدْ للحياةِ الحياةُ وفي غير ذلكَ لا أَطْمَعُ

*

لا مفرّ

يُسَائلني القلبُ : أيـن المفَـر   ونـارُ الظّنـون بـه تَستَعِـرْ

وأسـأل يا فتنـة القلـب عَـنْ   صدودِكِ ، عن سحرِكِ المستمر

لـمـاذا غضبتِ ولـحـظة صفوكِ تعدلُ عـنـدىَ كلّ العُمُر

أأنْ حدثتنـىَ عنـك النجـومُ   وساءلنى فيك وجهُ القمـرْ

أأن كنتِ نـورًا يضئ الحيـاةَ   ويهزم فيها الدجى المكفهـر

أأن صرتِ فى الليل ترنيمتى   وطـارَدَ نومـىَ فيك السهـرْ

أأن صرتِ مرفأ أمنٍ أخيـرًا   لقلـبٍ يسافـر لا يستقـر

فماذا علىّ وقد صرتِ وحدك خَوْفى وأمنى دون البشرْ

وماذا عليّ إذا ناوشتنيَ فيك الهمومُ وشتّى الفِكَرْ

وماذا علينا إذا كنتِ عينًا تودّ الحياة وكنتُ البصرْ

وماذا علينا إذا كنتِ أرضًا تريدُ النباتَ وكنتُ المطرْ

فإن كان حبيَ ذنبًا جنيتُ فإني عن الحب لا أعتذرْ

كلانا جنى الذنبَ لا تغضبي فعيناكِ لحنٌ وقلبي وتَرْ

تقولين : قلبُك غيرُ القلوبِ يصاب سريعًا بسهم النظرْ

ضعي بين عينيك لافتة للقلوب تنبّهُ : «هذا خطرْ»

فإن قلتِ : «باب الهوى موصد» فقلبي يدق لكي ينكسرْ

وإن قلت «جئتَ بلا موعدِ» فإني أجيبكِ : «هذا قدرْ»

فلا تغضبي ، لا ، ولا تهربي فما لك منّي وما لي مفر

*

قوليهـــا !!

إذا كنتُ مَقْبولاً لَدَيْكِ فَقُولي ... وَلا تَتْركينى نُهْبَةً لِفُضُولـى

وبُوحي بما في القلب مثْلي فإنّني ... وحقّ الأسى قَدْ حارَ فيك دليلي

فإنْ كانَ ما أخشاه منكِ فإنّني ... سأَمْضى لكىْ أَنْسى بكلّ سبيلِ

فلستُ الذى يَحْني مع الحبّ رأسَهُ ... ولـيسَ فؤادى فى الهوى بذليلِ

وليس من الإنصافِ أنْ أُعْلن الهوى ... وأن تـكـتـمـيـهِ . ذاك جِـدُّ ثقيـلِ

وأنْ أُجْرِىَ الأشواق نَهْرًا ، وتمنعى ... تَـدَفُّقَ مَجْرى النّهرِ دُونَ وُصولِ

وأَنْ تكبَحى مُهْرًا بصدْرِك جامحًا ... وتجْرِىَ فى المضْمارِ كلُّ خُيولى

وأن تنصحى بالصّبْر عَقْلاً وحكمةً ... ألا إنّ صَبْرِى اليومَ غيْرُ جميلِ

وإن الذى يَرْضى من الصبِّ بَثَّهُ ويكتمُ عنه فهو محض بخيلِ

فما ضَرَّ لَوْ أنّ المقدَّر كان أنْ أُنِيلَكِ من كأسِ الهوى وتُنِيلى

ونحن إذا شئنا قَدَرْنا ، وضمنا طريقٌ بوادى الحبّ. فاسْتَمِعى لى:

ألا فاعْلَمى أَنى بحبك هائمٌ ولستُ براضٍ عَنْك أىَّ بديلِ

ولكنّما أشكو إليك لعلّنى أَبلُّ من الأشواقِ بَعْض غليلى

فلا تتركينى حائرًا فى مخاوفى وقولى : نعمْ إنّى أحبّكَ قولى

ولا تَمْنعى نَهْرًا يريدُ مَصَبَّهُ دعِى النّهر يَجْرِى للمصبّ وَمِيلى

*

انصــرف يــا قلـــب !

انصرفْ يا قلبُ عن هذا الهوى واطـوهِ ذكرى إذِ العمر انطوى

انصرف يا قلبُ ، واحذر زلّـةً تكشف المخبوء من حرّ الجوى

نظـــرةً أو لفتـــةً أو كـلـمـــةً أو سلامًا من حُميّاك اكتـوى

لم يعدْ خطوى يُجاريك ، وقدْ عبـث الحبّ بروحي وثـوى

آه مــن عينيــن أخشى فيهمـا زُرْقة البحرِ وسحر المحتوى

تستثيـر الـروحَ مـن عُمْقيهمـا نظرةٌ عَجْلى بمفتون الهـوى

فاتئـد يا قلبُ ، واحذر زهرةً حبُّها مِنْ دمك الثرّ ارتوى

ونمـــا بيــن الحنايــا مَلِكًـــا وعلى عرشكَ يا قلب استوى

وشجاه نايك العذبُ أسًى   ورواه نغما فيما روى

آهِ كم صوّره في صورٍ   تفتن اللبَّ وتغوى من غوى

ولكم ناجاه طيفًا سانحًا   ورجاه – وهو لى داءٌ – دوا

وهى عن أمر الهوى لاهيةٌ   تشعل الروحَ بإمعان النّوى

وطريقى نحوها مضطربٌ   كلّما قلت : تبينتُ ، التوى

فارتضِ الحرمان منها قدرًا   لا تحاولْ . أغلقتْ كل الكُوَى

فهى شمس فى الضحى سابحة   وأنا فى الحب نجمٌ قد هوى

وهى فى الوردِ عبيرٌ عابثٌ   وأنا يا قلبُ عودٌ قد ذوى

فانصرف يا قلب عن هذا الهوى   واطوه ذكرى ، وَقَدْ طالَ الطّوى

*

الآن أبدأ

هلْ كان قلبي خائفا   لمَّا أجابك نازفا

أو كانَ غيرَ مصدّقٍ   وجْهَ الزمانِ مُحالفا

قدْ عاشَ حينًا لاهيًا   وعنِ الصبابةِ عازِفا

حتّى أتيْتِ قصيدةً   ومضى للحنكِ عازفا

فأعدتِ أيَّام الصّبا   ومحوْتِ عمرًا زائفا

قد كانت الأيامُ تَزْحَفُ في رؤاهُ سَلاحِفا

فأحلتِه يا فِتْنَتي بَرْقا مُضيئًا خَاطِفا

وَزَرعْتِ في أحلامِه حُلُمًا جديدًا وارفا

الآن أبدأ ؛ إنّني بهواكِ صرتُ مُجازفا

لا الرِّيحُ تفزعني ولا البحرُ الملئ مخاوفا

نُشِرَ الشراعُ وجلجلتْ فيه الرياحُ معازفا

عجبًا لها لانتْ وقدْ كانتْ عليّ عواصفا

لمّا رأتْك بزورقي تترقرقين عواطفا

أجريتِ في جنبيّ بالأشواق نهرًا جارفا

يبغي المصبّ . فَهَلْ يَردّ مع التدفّق راشفا

أمطرت في صحرائيَ الجرداء حبا واكفا

فاخضرَّتِ الدنيا وقدْ كانتْ خريفًا عاكفا

وأقمتِ في جنباتها وُرْق الحنان هواتفا

وأضأتِ في دنياى نجمًا كان قبلَك كاسفا

عيناك رقّصت الضياء له فأشرق لاهفا

يــا وردةً ســحَــرَتْ وأرجــو أن أكــون الــقــاطــفــا

ولســرّهــا أشــتــاق وحــدىَ أن أكــون الــكــاشــفــا

ولســحــرهــا أخــتــارُ عــمــرىَ أن أعــيشَ الــواصــفــا

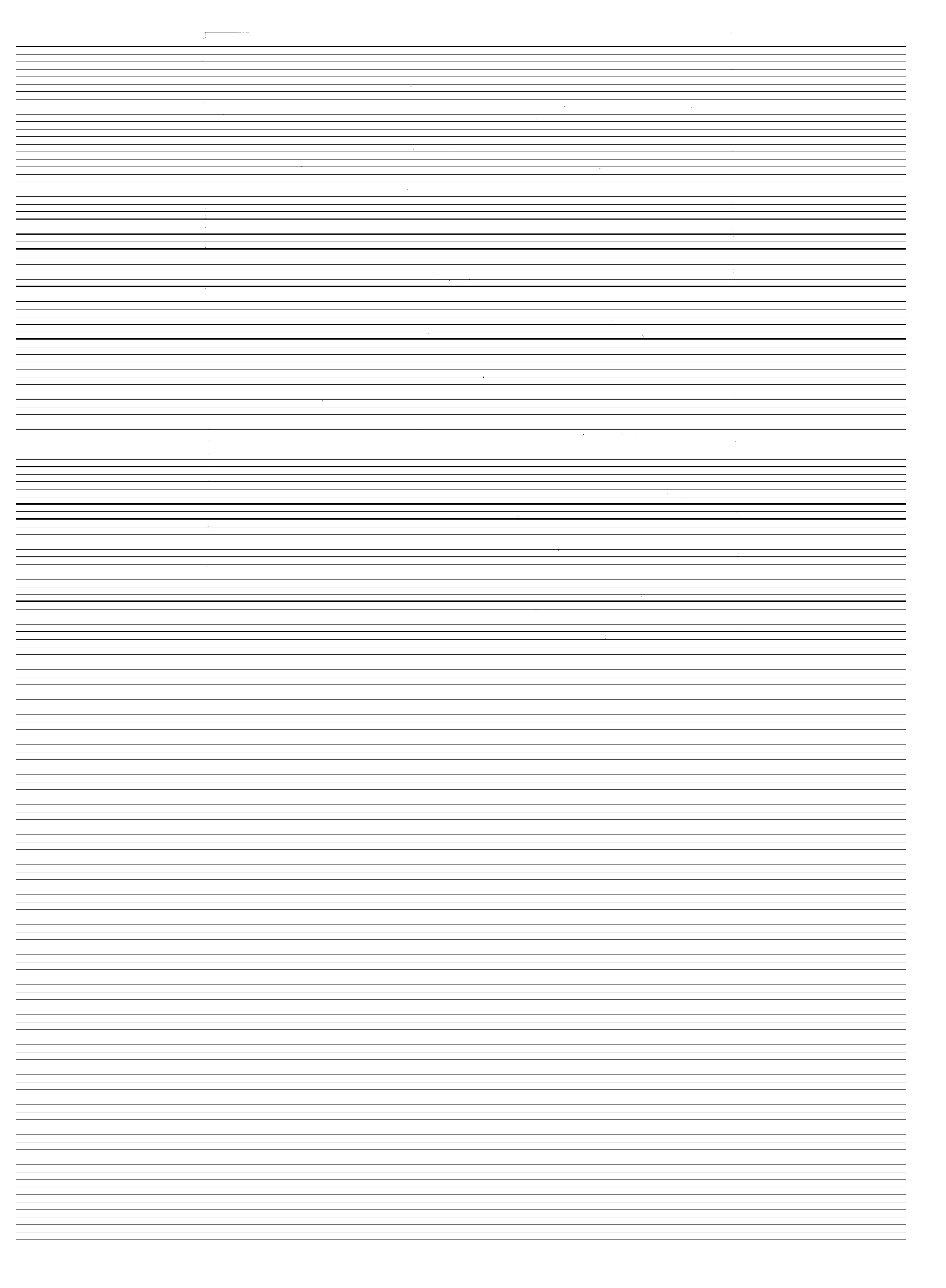
قَــلْــبــى أتــاكِ وقــد تــعــذَّب خــبــرةً ومَــواقِــفــا

لــهْــفــاَنَ يــلــتــمسُ الأمــان يــدقُّ بــابَــك واجــفــا

فــتــرفّــقــى لا تــتــركــى قــلــبــى بــبــابك واقــفــا

أو تُــرجــعــيــه – وقــد بــنــى الآمــال بــيضًــا – آســفــا

*



نظـرة فى النجـوم

يا ربّـــة النجـــم خبرينـــــى ماذا تقول النجــوم عنّــى

أفــى كتـاب النجـــوم أنّـــى مضيّـــع خائـــب التمنّـــى

أو ما تمنّيْـــتُ ســوف يأتـــى فــلا يرى مــن يجيــب منّــى

أمــــر ان أحلاهـمـــا حيـــاةٌ تعـذّب القلـــبَ بالتظنّـــى

نستشــرف الغيــبَ أمنيـــاتٍ تَفِــرّ مــن حاضــرٍ معـــنّ

ونستعيـــدُ الــذى تــولّـــى ذكرى تلـوّتْ كرقص جنّ

وكيــف يستعذب الأمـانــى مـــن قلبُــه غيــر مطمئـــنّ

لو شـامَ بـرق اليقين غطّــى على رؤاه سحــابُ ظــنّ

فصحبــــه خَاتَلُــوهُ غــدرًا وكــان فــى ليلهــم يغنــى

يا ربّــة النـجــم ، لا تــردّى علــى سؤالــى إليـك عنّــى

عرفــت مـن أمــر أصدقائـى مــا كـان منهــم وكــان منــى

حسبى مـن الغيــب أن أرانى أحيـــا وأنّــى هنـــا وأنّــى

*

لزوميـــة حزينـــة

أدركــت منك حقيــقة الأمرِ   يا صاحبى وأفقت من خمْرِى

وعرفـت أنى كنـت فى حُلُـمٍ   ضيّعت خلف سرابه عُمْـــرى

وصحوت ما شيئًا أرى بيدى   إلا رمــادًا خابــىَ الجمْــــــرِ

* * *

أنـتَ الـذى رُويــتْ مـودتــه   بشئــون قلبى البيض والحُمْر

ورعيتهـا حتـــى إذا سمقَـتْ   نخــلاً يــراد لأطيــب التَّمْــر

ألفيتُهـا بالمــرّ ناضحـــــةً   نضـحَ المنيَّةِ فى القنا السُّمْــرِ

هــل كـان مُــرُّك كامنًا وأنــا   لا أستبيــن خبيئــة الأمْــرِ ؟

* * *

يا صَاحِبِي والعُمْر يُسْرِعُ بي   والحزن يغمر أيما غَمْرِ

لم يبقَ مِنْ شيء يُقَرِّبنا   ضِرْعُ المودَّة جفَّ ، لا يُمْرى

قد أُغلقَتْ عيناك ، وامتلأتْ   أذْناك من طَبْلٍ ومن زَمْرِ

دعني هنا ؛ فطريقنا اختلفت   كلٌّ لما يعتاد مُسْتمرى

حَسْبي من الأيام ما صنعتْ   وَلْيكْفِ مِنْ زَيْدٍ ومن عَمْرِو

*

حديث إلى النفس

رَفْرِفي يا نَفْسُ في الحلُمِ　　وارْجِعي - إنْ شِئْتِ - بالأَلمِ

واعْلَمي أنَّ الحَيَاة رُؤًى　　سَابِحاتٌ في دُجَى الْعَدَمِ

لَيْسَ شَيْءٌ خالدًا أبدًا　　فاحْذَري مِنْ سَوْرَةِ النّدمِ

كاذبٌ يَقْتَات من كذبٍ　　كلّ مِنْ يَمْشِي عَلَى قدمِ

أَيْنَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أحْسبُهُ　　ثابتًا في الودّ كالهرَمِ

غيَّرت منْه السنينُ وقد　　كانَ يَستشفي ببعْضِ دَمي

أكثرُ الناسِ شكاةَ هوًى　　قلبُه خالٍ من السّقمِ

والـــذى يدعـــو إلى خُـلُـــق   يكتفــى مِـــنْ ذاك بالكلِـــــم

مَـــنْ لديـــه المـــالُ مكتنـــزًا   يتشكّى الفقْـرَ فـــى بـــــرَمِ

* * *

قــد بلــوتِ الناسَ فانكشفــوا   عــن بخيــلٍ مدّعــى كـــــرَمِ

وجـــبـــانٍ بـــاتَ مُنْتفِخـًـــا   كانتفـــاخ الأُسْــدِ فــى الأجم

وظنـيـــنٍ فــى خــلائـقِـــه   كـبـرئ غَيْـــــرِ مُتَّهَـــــمِ

ووضيـــعٍ مِـــنْ وقاحتـــــه   يدّعــى إخمـــال ذى الهِمَـــمِ

وبليـــــدٍ غَيْـــرِ مجتهـــدٍ   نـــال حـــظَّ الحـــاذقِ الْفَهِـــمِ

وشـــريـــفٍ راح مُنْهَزِمًـــا   وخسيـسٍ غَيْـــرِ مُنْهَـــزِمِ

والّـــذى يبكــى على قيـــمٍ   هُـو أَعْـدى النـاسِ لِلْقِيَـــمِ

والّـــذى يَلْقَـــاك مبتسِمًـــا   ذُو ضميـــرٍ غَيْـــرِ مبتَســـمِ

إيـــهِ يا نَفْسِـى وقــد هَطلَـــتْ   مُحْبِطَـات الـــروحِ كالدِّيَـــمِ

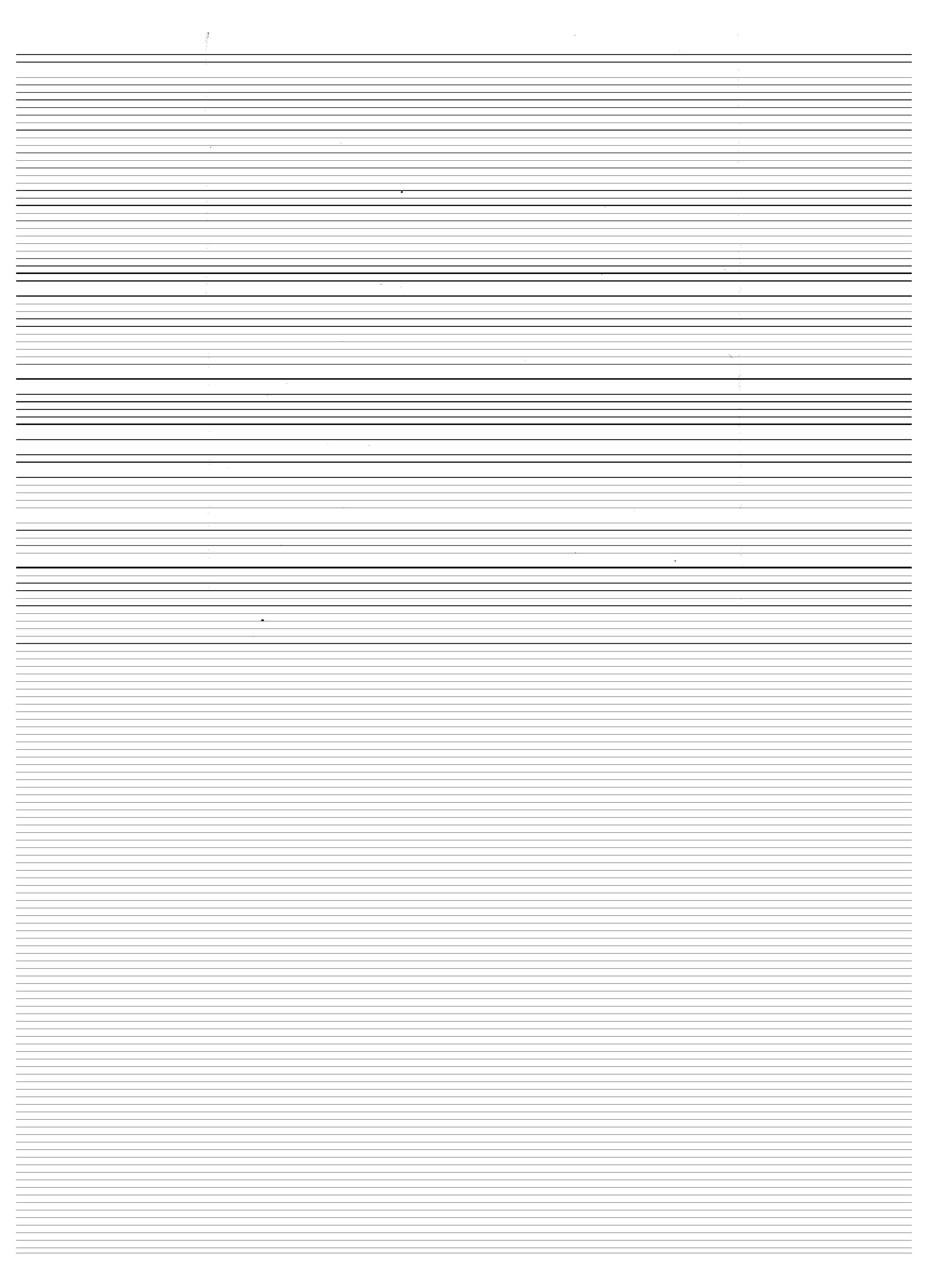
فَعَـــلا مَـــنْ كَـــانَ مُنْخَفِـضًـــا   وهَـــوَى مَـــنْ كــانَ فــى الْقِمَـــمِ

وتَـوَلَّـــى كـــلَّ مَرْتــبـــةٍ   سـادةٌ كانـوا مـن الخــــدَمِ
قِسـمـــةُ الأيَّـــــامِ جائــرةٌ   أَتُــرى تَرْضَيْــن بالقِسَـــــمِ ؟

* * *

رفرفـى يا نفسُ فى الحُلُـمِ   وارْجعى إنْ شِئْـتِ بالألـمِ
أشْعِلـى النَّـار التى خمـدتْ   فى حنايـا الـروح واضطرمى
واصْهَـرِى الآلام وانْطَلقـى   نَجْمَـةً تَسْرِى مـع النُّجُـمِ
واسْمَعِـى الألحـانَ شاجِيـةً   فـى الفضـاء الرَّائـع النّغـم
واتْرُكـــى للنَّـــاس أمْرَهـمُ   إنّـه يَدْعـو إلـى السَّـــأمِ
إنّ قلبـى مِـنْ طبائعهـــمْ   فيـهِ جُـرْحٌ غَيْـرُ مُلْتَئِـــم
فتسـلّـىْ عَـــنْ مَثَالِبِهـــمْ   واقْذفيها فـى ثَـرَى الظُّلَـمِ
إنَّمـا النسيـــانُ فَانْتَبِهـى   نِعْمَـةٌ مِـنْ أَعْظَـمِ النّعَـــمِ
فاعبـرى بالمُخْبِـطَـاتِ ولا   تَأْلَمى فى الحُلْمِ وابْتَسِمـى

*



الوجــه المستعــار

كل شيْءٍ تبدّلَ والقلبُ لا يعترفْ .

كل شيءٍ تحوّلَ ، فالأرض مُصْفَرَّة والسماء دخانيَّةٌ ،

والعيونُ زجاجيةٌ والصدورُ مجوفةٌ ، والوجُوهُ خزَفْ .

سائرٌ في الطريق المواجهِ وحدَك ، ينهشُك البردُ ، لا ترتجفْ .

لافتاتُ الطريق تشير إليك بأنْ تنعطفْ .

كل شيءٍ يميلُ مع الريح حيث تميلُ ، ولست تميل مع المائلينَ ،

ولا تتقي الرّيحَ ، والريحُ مجنونةٌ لا تقفْ .

ما الذى تبتغي الآن ، ها أنت وحدَكَ في المُنْعَطفْ .

إنهم يركُضُونَ إلى الخلْفِ ، ينجرفون مع الزَّبدِ المتدافعِ ،

أنت الذى تتشبَّثُ لا تَنْجرفْ .

يهتفُ القلب – والقلبُ – سر عذابكِ – : «لا تنحرفْ» .

كلّ شيءٍ تبدلَ والقلبُ لا يعترفَ .

إنّ هذا زمانُ التحوّلِ فاخترْ لنفسك ماذا تكونْ

العيونُ حواليك محشوّةٌ برصَاصِ النَّظَرْ

والقلوبُ التى تَرْتَجِى قِطعٌ منْ حجَرْ .

والوجوهُ مدجّجةٌ بالسكوتِ الخؤونْ .

والأيادى حرابٌ طوالٌ مُصَوّبةٌ ، وتشير إلى المنحدَرْ .

فلماذا التشبّثُ ، إنّ التّشبُّثَ عينُ الجنونْ .

والأكفُّ الّتى تجذبُ الظّهر للخلْف ليستْ تكفّ .

كلّ شيءٍ تبدَّل والقلبُ لا يعترفْ .

الزمانُ استدارَ وكلٌّ له وَجْهُهُ المستعارْ .

إنّ هذا زمانُ التحوُّل ، فالكلْبُ صالحهُ الذّئبُ ،

والفأرُ صادقه القطُّ ، والأسْدُ تلْبَسُ ثوبَ المهرّجِ فى

السّركِ ، والماءُ لا يطفىء النّارَ ، والنّار تأكلُ كل اخضرارْ .

أنْت ما نِمْت فى الكهف يومًا ولا بَعْضَ يَوْمٍ ،

فكيفَ استحلْت غريبًا ،

وأصبح ما في يدَيْك دليلاً عليك ،

وأصبحَ وجهك وجهًا قديمًا يعشّش فى جانبيه الغبارْ .

يا صديقى ، ألم يأنِ للقلب أن يعترفْ .

الذى كنت تحسبُه لؤلؤًا فى الصَّدَفْ .

ليس إلاّ عقيمًا منَ الرّمل بينَ المحارْ .

يكْتسى بخداعِ الصَّلَفْ .

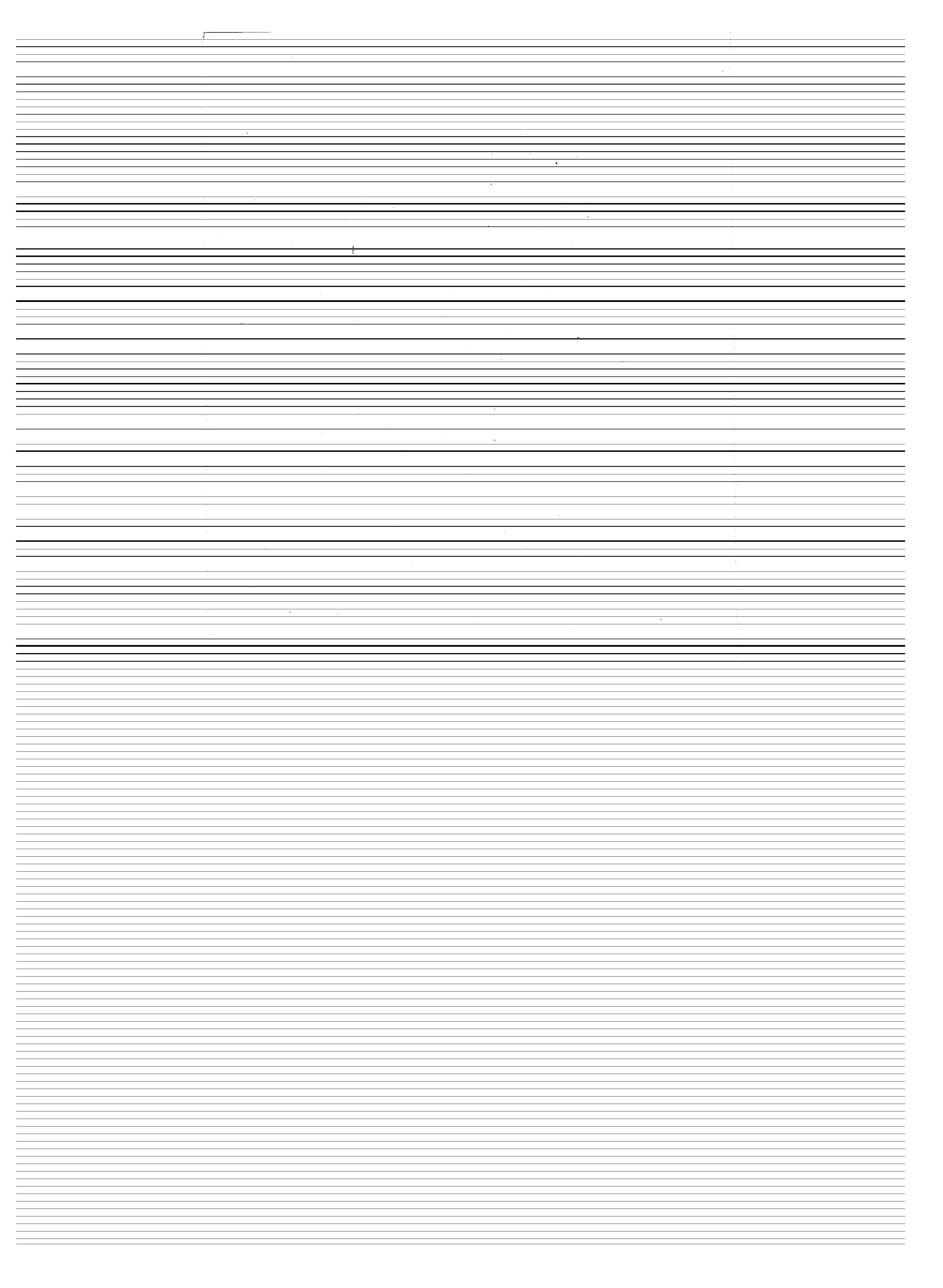
فاعترفْ .

الزّمان استدارْ !

الزّمان استدارْ !

اخلع الآنَ وَجْهك ، والْبس لهم ذلك المستعارْ .

*



الطيور تنقر في القلب

حِينَ أُصْبحُ فى اللّيْلِ وَحْدِىَ ، واللّيلُ ينْشبُ مخلَبَهُ فى الجدارْ

تحتوينى طيورٌ من الذكريات القديمةِ ، لا أستطيع الْفِرَارْ

لستُ أعرفُ من أَيْن تأتى ، ولا أتبيَّن فى اللّيْلِ وَجْه النهارْ

إنّها فَجأةً تنقُر القلْبَ ، والقلب عَارٍ ، ولَيْس له مِنْ خِيارْ

قدْ تعلّقهُ فى الجناحِ ، وتَهْوِى به للرّياحِ ، ورَمْلِ القِفَارْ

أَوْ تحطّ به فى مدارجِ حلمٍ قديمٍ بشطٍّ عَصِىّ المزارْ

نقّرى يا طيورِى القديمة ، إنّ القلُوبَ إذا نُقرتْ تُسْتَثارْ

* * *

مَوْجةٌ مَوْجَةٌ تعبرُ الذكرياتُ ، وتبقى الّتى مَالَها مِنْ قرارْ
تَضْربُ القلْبَ فى شَاطئِ المستحيل ، وتُلْقِى به دائما للدّمارْ

* * *

قَطْرَةٌ قَطْرَةٌ تسقُط الأمْنِياتُ على الرّمْلِ فى اللّهبِ المستثارْ
وترى فجأةً كلَّ مارُمته شجرًا عاريًا خذلَتْه الثّمارْ

* * *

لَحظةٌ لحظةٌ يفلتُ العمْر ، لا يَتَبقّى سِوَى الزّمنِ المستعارْ
وتُنادِى عَلَيْك السّنينُ من الخلْف ، تعْلِنُ : «لا خَيْرَ فى الانتظارْ» !
اتئِد يا قطارَ الحياةِ لحاجَاتِ نَفْسِى الكثِارِ ، اتّئدْ يا قطارْ

* * *

دمْعَةٌ دمْعَةٌ يقطُر الحبُّ ، والحزنُ فى الروحِ يملأ كلّ الجرارْ
والحنينُ يدَوّمُ فى النّفْسِ ، والنّفْسُ تُحْكِم حَوْلَ الحنين الحِصَارْ
فارتِ القدْرُ ، والْغَليانُ استمرّ ، فمن يَسْتطيع احتباس البخارْ ؟
النخيلُ انحنَتْ . كلُّ يومٍ يمرُّ يُضِيفُ إلى الرّوحِ بَعْض انكسارْ

* * *

رَفْرِفى يا طُيُورِى الْقَديمةَ فى القَلْبِ ، لا تتركى كلّ هذا الغبارْ
عَشّشى ، وَضَعِى البيْضَ واحتضنيهِ وضُمّى إليْكِ الفِراخَ الصّغارْ
لا تَظلّى مُفزّعةً كلّما حَطّ طائرُ بِشْرٍ على الغُصْنِ ، طارْ

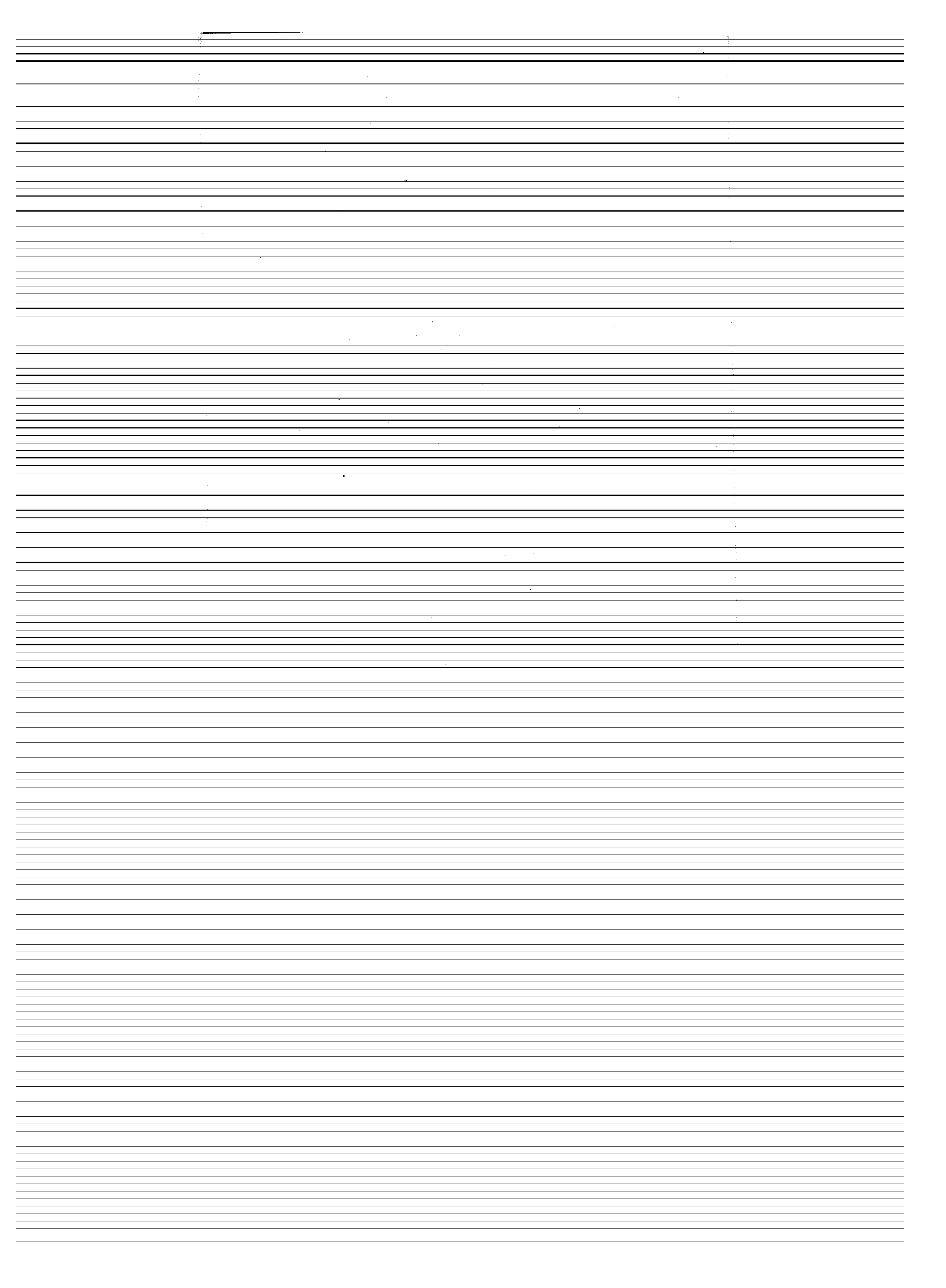
* * *

البلابلُ كانتْ قديمًا تُغَنّى ، وكانَ لها بالغِنَاء انتصارْ
مالها الآن محزونةً ، بدَّلَتْ بالْغِناء الشجىّ الدمُوعَ الغزارْ !
غَرّدى يا طيورِىَ ، كى تَطْرِدِى بالغناءِ الجديد الهموم الكبار

* * *

الطّيورُ تنقّر فى القلْبِ . ليْستْ تغنّى ، فلمَ يبْدُ بَعْد النّهارْ
ما الّذى أبْطأ الليلَ فى زحفهِ ؟ كلُّ نجْمٍ على الأفْق ضل المدارْ !
كانَ فيما مَضَى يُهتَدى بالنجومِ ! . فَمنْ يُرْشِدُ النّجْم نَحْو المنار ؟!

* * *



الحنيـن إلـى النبـع

لا تسلني من أين جئنا ، وأنّى / سوف نَمْضي ، وكيْف كانوا ، وكُنّا

رَحِـمُ الأرضِ بالحيـاةِ ولودٌ / ورحاها تدورُ تَطْحَن طَحْنـا

نحـنُ للأرضِ ، أُمّنا ، من ثراها / قـد أتيْنا ، وفي ثراها سَنفْني

كـلّ ما فوقهـا يفيءُ إليهـا / في سكـونٍ كأنّه مـا تَغَنّـى

وهـي كالبحـر لا تردّ بنيهـا / كلُّهم واجدٌ لدى الأم حِضْنـا

دورةٌ بالحياة والموت تمضي / بعدهـا دورةٌ سَتَقْتـاتُ منّـا

ربّما كنـتُ قَبْلهـا أيّ شَيْءٍ / وأنـا الآن كائـنٌ أتمنّـى

وغـدًا ما أكونُ ؟ لستُ أبالي / حكمـةُ اللهِ غيّبتْ ذاك عنّـا

قد تصيرُ الجسوم في الأرض حالاً / بـعْـدَ حـالٍ ، ولـيس ذلك ظنّـا

غيـر أنّ الأرواحَ سرٌّ مـن اللـه ، وأمْـرُ الأرواحِ للـّهِ أدْنـى

بَعْضُ هَذى الأمورِ لا يُدْركُ العقل مداها ، ولو حواها لجُنّا

شُعلة الروحِ فى المساربِ راحٌ سُكبتْ فى الدنانِ دَنّا فدنّـا

توقظُ الطين ، تبعث الجسدَ الهامِدَ حيّا وترتضى الطين سِجْنا

بعـدَ حيـنٍ تفرّ منـهُ ، فيبلَى وتعود انبلاجـة النـور دَجْنـا

إنهـا وَمْـضةٌ تنقَّلُ فى الكوْنِ ، فَتُحْيِى رُكنًا ، وتَهدمُ رُكْنا

وَهْى تجرى على الورى بحسابٍ ، ومقاديرَ فيه توزن وَزْنا

كلُّ ماءٍ لـه نزوعٌ إلى النَّبْعِ ، وإنْ أفْسَح المدى ، واطمأنّا

فتـرى النّهر سابحًا مطمئنًا وهو يمضى إلى المصبُّ مُعَنّى

موجةً بعد مَوْجة يعبُر النّهرُ ، ولكنْ يُعيده البحرُ مُزْنا

وترى المرءَ فى الشبابِ عجُولاً يستحـث الأيّـام ألاّ تَضِنّـا

فـإذا كـرّت اللّيـالى عَلَيْـه ذكر الماضىَ البعيـد فحنّـا

إنّ فى عمقِه حَنينًـا إلى النّبْعِ ، وسـرًا عَـنْ وَعْيـه مُسْتكنّـا

وترانـا علـى الحيـاة حرَاصًـا   وَهْـى تلهو بنا ، وتسخـر منّا

إنها الكـاسُ أُترِعـتْ لسـرورٍ   وهـى فـى قاعها تَرَقْرقُ حُزْنـا

وتـرى الخـوفَ جاثـمًا فى زَوَايانا يدكُّ النفوسَ مَعْنًى ومَبْنَى

والأيـادى مغلولـةً ، وَهْو فينـا   يُشْبـعُ الحـقّ بالأباطيـل طعْنـا

يُولَدُ الخوفُ فى الظلامِ ، وتغذوه النفوسُ الضّعافُ ذلاًّ وجُبنا

ما الذى يجعلُ النفوسَ ضعافًـا   وَهْى تمضى عن الحياة فتفْنـى ؟

ولديهـا - إذا أرادتْ - ضيـاءٌ   منْ يقينٍ يبدّلُ الخوفَ أَمْنَا !

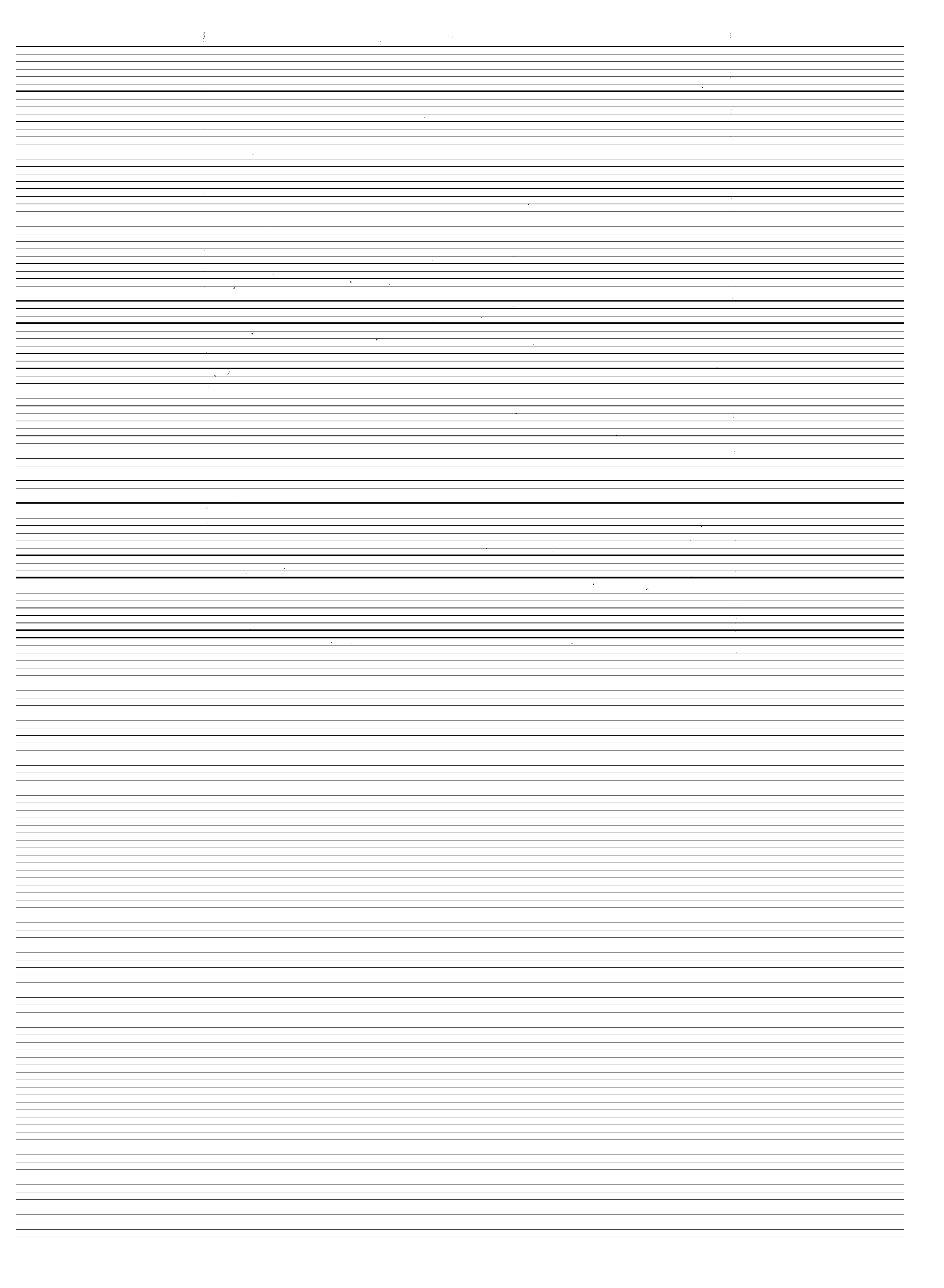
إنّ سـرّ الـحيـاة فيضٌ مـن الـنـورِ الإلـهىّ لـم يَـزلْ يـتسنّـى

نَفْخـةُ الـروحِ نَفْحةٌ مـن سَنَاه   كنْ على قدرها جلالاً وحُسْنا

وإلى نَبْعها تَعودُ كما جاءتْ وتبقى ظلالهُا - بَعْدُ - وَسْنَى

لا تسلنى عن كلّ هَذا وقـلْ لـى   أترى للحياةِ فى الخوفِ مَعْنى ؟!

*



حادى الركب*

حادىَ الركب تمهّلْ فى المُضِىّ ... واسأل الركب : ترى فيكم «علىّ»؟

إنْ يكن فيهم ، فَسَلْهُ لحظَة ... نتزودْ من سجاياه بشىّ

المحيّا الطلق ، والبشر الذى ... يأسر القلب ، وأخلاق النبىّ

والبيانُ الفذ إن قال ، وإن ... يؤثر الصمت، فصمتٌ عبقرىّ

والثبات الصلب فى الحق ، وإن ... كان داعى البذل ، فالكف الندىّ

واللسان العفّ ، والرأى الذى ... يبصر الغيب بإلهامٍ خفىّ

والإخاء الحق لا يبغى به ... غير وجه الصدقِ ، والصدقُ عصىّ

وحنوّ كحنوّ الأب فى ... رحمةٍ تنصبّ كالغيث الأتىّ

(*) فى وداع الصديق الدكتور على عشرى زايد - رحمه الله - عند سفره من إسلام أباد عائدا إلى مصر فى نهاية إعارته إليها .

هذه بعض سجاياه وفتْ	في زمان لا ترى فيه الوفيّ
قل له يا حادىَ الركب اتئد	إن بعض الغرس محتاج لريّ
جئتَه ترعاه غضا فزكا	نبتُه أصلاً إلى فرع زكيّ
جئتَ فى كوكبة من إخوة	تزرعون النور بالعلم السنيّ
كلكم كان «سراجًا» كاشفا	عن «جمال الدين» مثل «الشافعى»
كلكم يرمى بقوسٍ وتّرتْ	حبذا الرامى ، وأحبب بالقسيّ
ومضتْ عشر سنينٍ ومضتْ	كوميض النجم فى الليل العتيّ
قل له يا حادى الركب اتئدْ	أنت قلب الجسم ذو النبض القويّ
قل له يا حادى الركب اتئدْ	كيف يحيا الجسم والقلب قَصِيّ
نحن كنا أسرة واحدة	وهو راعيها العطوف الأريحيّ
يحمل الأعباء عنا وحده	ويلمّ الشمل بالقلب السخيّ
إن رمت منا الليالى بعضنا	بملمّ قال : ألقوه عليّ
لفظه من روحه منسكب	فهو طبّ وشفاء للرميّ
يسع الكل بحب صادق	وهو بالحب حقيق وحفيّ

عندمـــا نـودى لبـىّ طائعـا والأسى يكسرنا كسر العِصىّ

حسـدت فينـا الليالى جمعنا آهِ ، والأيـام لا تصفو لحىّ

فرمتنـا بالـــذى نأسى لـه ويد التفريق عاثت فى الندىّ

إنّ يومًـا لا نُـرى فيـــه معًـا ليـس فى الأيام باليوم السوىّ

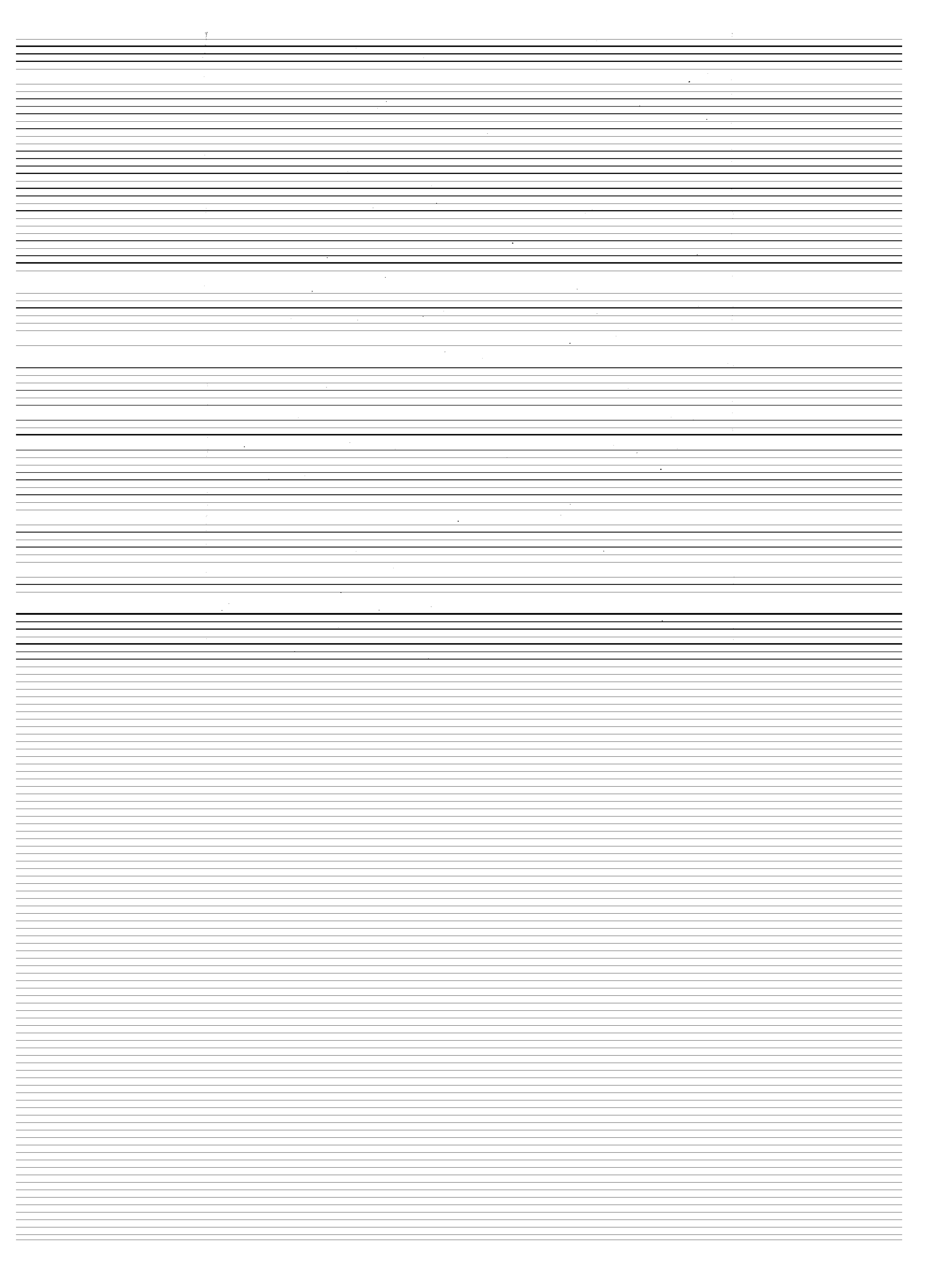
مـن ترى يأسو قلوبا علقت بهواه حيثمـا تمضى المطـىّ

حـادِىَ الماضين قلْ عنّا لـه قـد رضينا بالذى تَرضى علىّ

يا أبـا عشـرى سيسرى حبنا لك يطوى فى سراه كل شىّ

حيثمـا كنت ستبقى بيننـا فامض بين الركب واسلم فى المضىّ

*



سوف أبكى أبدا *

هل أناديك فلا تسمعنى ... وتردّ الريحُ أشلاءَ الصدى

وإذا جئت أناجيك فلا ... أتلقّى غير ما أبقى الرّدى

أتُرى تخلف وعدى بعدما ... كنت لا تخلف يومًا موعدا

هل نعى النّاعى وأبكيك . إذنْ ... يا صديقى سوف أبكى أبدا

إنّ أُذْنى أنكرت ما سمعتْ ... وتجافت لم تصدّق أحدا

كيف والأرضُ على دورتها ... والمضيئان بها ما ابتعدا

والجديدان يكرّان ، وما ... همّ هذا الكونُ أَنْ يرتعدا

غيرَ أنّ القدرَ الرامى مَضَى ... سهمُه فيك وأبْقَى الكمَدا

(*) فى رثاء الصديق د. محمد فتيح .

مَنْ لقلبٍ يشتكي من حزنٍ   كلما أنْهَيْتُ شكواه ابتدا

يا صديقي كنت تُشْكِيه ، وقد   صرتَ فيه حزنَهُ المتقدا

* * *

أشعل الذكرى ، وقل كيف أتتْ   خطواتُ العمر تمضي صُعُدا

نحن نخطوها معًا واحدةً   بعد أخرى منذ كان المبتدا

فلماذا تسبق الخطو لِمَا   لم نجدْ من دونه مُلْتَحدا

نحن كنا شذَراتٍ فُرِّقتْ   ليّناتٍ مثل حبّات الندى

جمعتنا «الدار» في أصْدافها   فاستوينا لؤلؤًا أو زبدا

واصطفانا الحبّ من درّاتها   ونفَى عنها الأذَى واجتهدا

وحباها نورَهُ فانسلكت   وبدتْ عقدًا فريدًا نُضِدا

غرّنا الحبُّ وأُغْرِينا به   فظننا العمرَ يبقى سرْمدا

لم نكنْ ندركُ أنّ الزمن الْغادِرَ الموتور يرنو حسدا

أيْن يا واسطة العقد مُنَى   جمعتنا . هل تولّت بددا

ولماذَا تَفْرِطُ العقدَ فتَمْضِي لما رُحْت له مُنْفردا

كلُّ شيءٍ كنتَ فيه سابقًا   لم تصافح لسوى السبْق يدا

أرأيتَ الموتَ أيضًا غايةً   فجريت الشوط سبقًا للمدى

* * *

كنْتَ فينا شامخًا مؤتلقا   فارِعَ القدّ عظيمًا أيِّدا

لم يزدْك العلم إلاّ أدبًا   وحياءً وصفاءً وهدى

هل تولّى كلّ هذا فغدا   صورةً بين إطارٍ أسودا

صارَ حُلْمًا سابحًا في فَلكٍ   كلّما قلت تدانى بَعُدا

* * *

قد حسبتُ الموت يخشاك وهلْ   خشي الموتُ قديمًا سيّدا

دائما يحتالُ للفتك بمَن   يبتغيه فيصيبُ المقْصِدا

فبرى سهمين سهمًا للضّنى   حبّةِ القلْب ، فَفَتّ الكِبدا

ومضَى حزنُك في غايتهِ   وأَرَيْتَ النّاسَ منك الجَلدا

يعرف الموتُ على قسوته   كيف حُبّ الوالدين الولدَا

لم تطق صبرًا على فرقته   فرآها ثغرةً فاعتمدا

ورمـى الآخـر فانسقت لـه جسـدًا جـفّ وروحًا أجْهِدا

وهـو إذ يرميك يرمي أنفُسًا والهـاتٍ . يا لَـهُ مُطّـردا !!

* * *

كنـتَ فينا دوحةً مَرْجُـوّةً جادهـا الغيـثُ بـرىّ مُسْعِدا

كـلّ مَـنْ يُبْصِـرهـا يأمُلُـها ويُمنّـى نفسـه متّئـدا

آهِ . لمّـا أثمـرتْ عاجلهـا قاطِـعٌ أَهْـوى بفأسٍ وعـدا

إنّ طلابـك مازالـوا علـى مقعد الدرسِ . فهل تأتى غدا

إنـهـم أقلامهـم فى يدهـم والطروس البيض ترجو المددا

قـم فأمْـلِ الـدرس يا فـارسه واملأ الألواحَ واشرح مرشدا

اقهـر الصعـب كما عوّدتنـا وانفض الأكفان وانهضْ جسدا

لا تقـل : كتبـى لديكم . إننـا نشتهى صوتـك فينـا مـوردا

لا تقـل : ذكراى فيكم . إننـا نبتغى وجهك سمحًا منجـدا

كلنا نصفيـك حبًّـا خالصـا لا نـرى عنك بديلاً أبـدا

كـلّ هـذا الحبّ يدعوك فلا تتـرددْ . أو ترى ندعو سُدى

إننـــا ندعـــو فـلا تسمعنـــا ... وتـرد الريـح أشلاء الصــدى

نتلقـــاه فـراغًـــا يـائـسًـــا ... وترابُ الرمس يُنْهى المشهدا

* * *

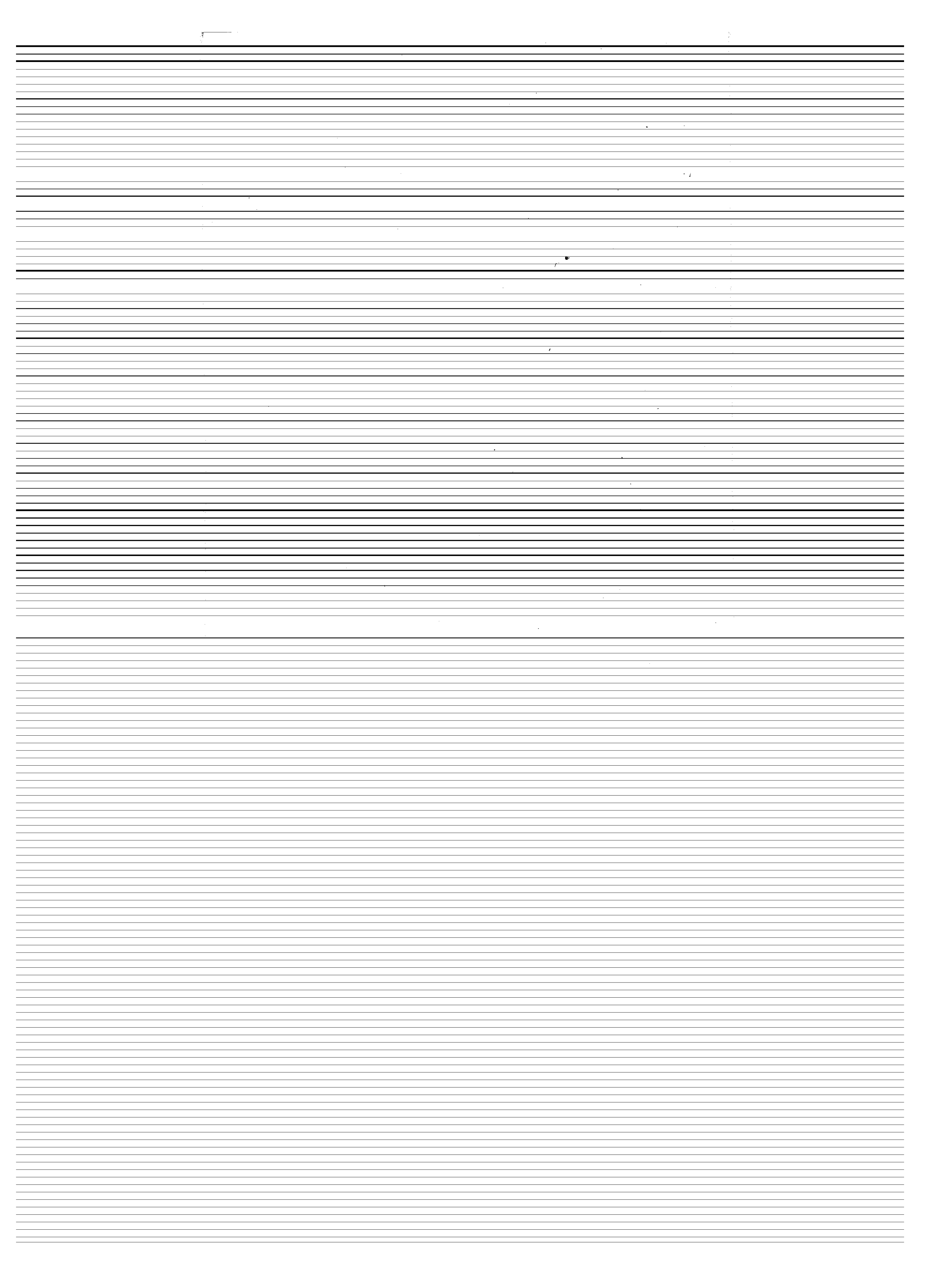
يا أبـا يحيى دع الرمـس وقـمْ ... فاتخـذ فـي كلّ قلـبٍ مرقـــدا

وارتقـب منـا لقـــاءً دانيـا ... كيفَ نحيا وأبو يحيى اغتدى

أنـت قرّبـت لنـا الموت فمـنْ ... كان يخشى الموت أعطاه اليدا

فانتظر فـي رحمة اللهِ، وفــي ... جنـــة الخلـدِ جــزاء وُعِـــدا

*



نادين *

أهـلاً بنجم مُضيء زان نادينـا   وزَهْرَةٍ عَطَّرتْ بالحبِّ وادينـا

ودُرّةٍ حُرةٍ في عِقْدنا انسلكتْ   تشع نورًا لمسنـاه بأيدينـا

ولمحةٍ من تجلّي اللهِ صورّها   حُسنًا بديعًا فسميناه «نادينا»

* * *

«نادينُ» يا أول الأحفادِ يا هبةً   حَبَا بهـا أوّلَ الأبنـاءِ مُبْدينا

نادَتْكِ أشواقُنا في الغيبِ راجيةً   حتى أجبْتِ مَعَ البُشْرى مُنَادينا

* * *

(*) نادين حفيدتي الأولى وهي ابنة ابني حاتم .

«نادينُ» يا زينة الدّنيا وَبَهْجَتها يا مَنْ مَحبَّتُها صارتْ لنا دِينا

عِيشى مَدَى الدَّهْرِ فى عزٍّ مرفّهةً واسْتَفْتحى الخيرَ باسم الله هادينا

فى ظلّ أوفى أبٍ برًّا وعاطفةً وخير نجل به ازدانَتْ نواديـنا

حتى نراك عروسًا يومَ حفلتها تُطِلّ من عَرْشها كيما تناديـنا

أدعو لكِ الله أن تحيى منعمةً وأن تكيدى لنا دوْمًا أعادينا

*

تحية فاروق شوشة *

رَبُّ البيانِ وربُّ الشعرِ فاروقُ

نَسْرٌ مَهِيبٌ له فى الفن تَحْليقُ

إن ينشر الدرّ تلقطْه العقولُ لها

بما يُسَلْسِل إيماءٌ وتصديقُ

أو يُنْشِدِ الشعرَ تلقفْه القلوبُ هوًى

له من الخَفْق إصغاءٌ وتصفيقُ

شعرٌ يضيءُ إذا ما احلولكَتْ ظُلَمٌ

ويشرحُ الصدرَ إمّا مَسّه ضيقُ

(*) تحية للشاعر فاروق شوشة بصدور أعماله الشعرية الكاملة .

من نبعةِ الملأ الأَعلى نسائمُه

يلذُّه عاشقٌ منا ومَعْشُوقُ

يَحْنو عليْك إذا ما كنْت تسمعُهُ

لأنّه من رحيقِ الروحِ مَدْفُوقُ

يَجِئُ عَفْوًا بأنْغَامٍ مجنّحَةٍ

لا ينفعُ الشعرَ إعْنَاتٌ وتزويقُ

تروم خمرًا حَلالا حينَ تقرؤه

وكلّ بيتٍ لملءِ الكأسِ إبريقُ

وتارةً يشعلُ البركانَ ثائِرُه

إن كان ظلمٌ وإرهاقٌ وتضييقُ

وينفخُ الروحَ فى الأشلاء يبعثُها

كأنه نافخٌ فى الصورِ مَصْدُوقُ

يراعُه من عَصا موسى وقدْ بُرِيَتْ

فالشّعر مُنْبَجِسٌ والبحر مفروق

فاروق والشعر فرعا كَرمةٍ بسقت

صفّى لها ماءها فى الغيبِ راووق

وصوتُه كصليلِ الوَحْى منطلقًا

يمدّه من خفىّ اللوْحِ تَحْقيقُ

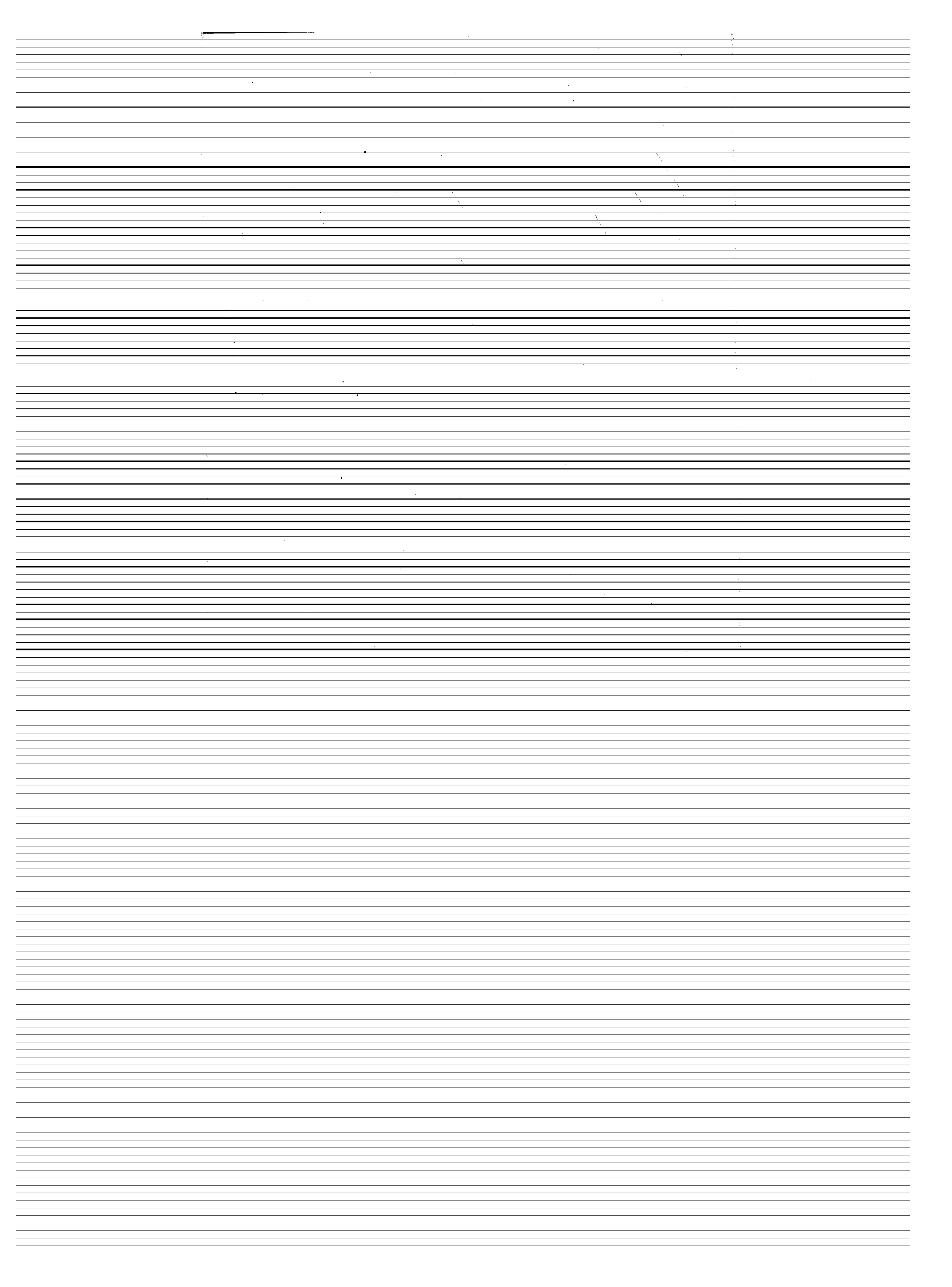
صوتٌ شجىٌّ به الأسماعُ عالقةٌ

كأنّه بالجَوى الفِطْرِىّ مَخْفُوقُ

عَفْوًا إذا قلْتُ شعرا فى تحيّتِهِ

وهل يُحيّا بغَيْرِ الشّعْرِ فاروقُ

*



أعْبُدُ اللهَ فى وجوه الحسان

أسرتنى العينان والوجنتانِ ليس لى فى الذى أحسُّ يدان

إنها وحدها وليس سواها آيةُ الحسْنِ فى بنى الإنسانِ

صاغها اللهُ من جمالٍ ، ومِنْ سحْرٍ ، ومن رقّةٍ وفيضِ حنانِ

فإذا ما رأيتُها غمرتْنى بحنوٍّ يُنْسِى صروفَ الزمانِ

وإذا ما تكلمتْ خلَبَتْنى بشهىِّ الحديثِ كالألحانِ

وإذا ما تدلّلت راح قلبى من لذيذِ الدلالِ فى الذوبانِ

وإذا ما تلفتتْ أُنْسِى الناسُ سريعًا تلفّتَ الغِزْلانِ

* * *

آهِ لَوْ أنعمتْ عليّ بوصْلٍ　　لغدَتْ نشوتي بلا شطآن

قد تعذَّبت في هواها كثيرًا　　ربعُ قرن مضى وإنّي أعاني

وكتمتُ الهوى عن البوحِ حتّى　　غلبتني مرارة الكتمان

قد يكون اللسانُ غيرَ مبينٍ　　غير أنّ الهوى فصيحُ البيان

كل ما تنطوي الصدورُ عليه　　تتولّى إعلانَه العينانِ

فاعذريني أنْ ضاق صَدْري بسرّي　　وجرى بالذي أكنُّ لساني

وارحمي قلبيَ المعذَّبَ إنّي　　أَعْبُد اللهَ في وجوه الحسانِ

*

المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

